

رسالة الخواص*

السيد أحمد خاتمي

* الأفكار الواردة في هذا البحث مقتبسة من محاضرة ألقاها قائد الثورة الإسلامية وولي أمر المسلمين سماحة السيد علي الخامنئي دام ظلّه في محرم ١٤١٧ على قادة الفرقة (٢٧) محمد رسول الله ﷺ بطهران، وهي محاضرة حسينية غنيّة بالأفكار والمفاهيم وقد قام سماحة السيد أحمد الخاتمي إمام جمعة طهران بتدوينها بهذه الصورة.

من هم العوام والخواص؟

صنّف قائد الثورة الإسلامية الناس في كل المجتمعات - سواء تلك التي يحكمها الحق، أم تلك التي يسودها الباطل - إلى صنفين هما: الخواص، والعوام.

أمّا الخواص: فهم الذين تستند مواقفهم إلى البصيرة والوعي، وهم الذين يتخذون القرار بأنفسهم، لا أولئك الذين يقرر مصيرهم الآخرون. والعوام: هم الذين تعوزهم القابلية على تحليل الأمور ودراستها، ولا تقوم تحركاتهم على أساس البصيرة. فهم ينساقون خلف التيار العام، وترهبهم الاجواء السائدة، وشعارهم في كل مسألة: دعنا نرى إلى اين يسير التيار العام، وأين تستقر الأوضاع؟

ولن نتطرق في هذا الكتاب إلى العوام والخواص في المجتمع الذي يسوده الباطل فذلك موضوع آخر يستدعي مجالاً أوسع، بل إن جوهر غايتنا هم العوام والخواص في المجتمع الذي يسوده الحق.

مصاديق العوام والخواص:

تعتبر البصيرة الحد الفاصل بين العوام والخواص، فمن كانت لديه هذه

١٤٦..... السيد أحمد خاتمي

الميزة كان من الخواص، ومن افتقدها كان من العوام. وعلى هذا الأساس لابد من تمييز هذين الصنفين في ضوء هذا المعيار، لا على أساس التحصيل الدراسي أو الانتماء الطبقي، وكما يعبر سماحة القائد:

(إن هذه الفئة التي نسميها الخواص تضم أناساً متعلمين وآخرين غير متعلمين، فقد يكون من الخواص إنسان غير متعلم لكنه يفهم ما ينبغي عليه فعله، ويعمل وفق تخطيط وإرادة حتى وإن لم يكن قد دخل المدرسة، أو لديه شهادة، أو يرتدي زي العلماء لكنه يفهم ما هي الحقيقة...)

إننا حينما نقول الخواص فلا يعني ذلك زياً معيناً فقد يكون رجلاً، وقد يكون امرأة، وقد يكون مثقفاً أو غير مثقف، وقد يكون غنياً أو فقيراً^(١).

ونظراً لاتساع مفهوم العوام والخواص الوارد في القرآن الكريم، فثمة أشخاص كانوا من المقربين للأنبياء لكنهم انضموا إلى معارضيهم، أي إنهم أصبحوا في عداد العوام؛ لأنهم رأوا أن المعارضين يمثلون السواد الأعظم فانضموا إليهم كما هو الحال بالنسبة لامرأة نوح وامرأة لوط. يصرح القرآن الكريم بشأن امرأة نوح وامرأة لوط قائلاً: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾^(٢).

(١) خطاب قائد الثورة الإسلامية أمام قادة فرقة (٢٧) رسول الله ﷺ.

(٢) التحريم: ١٠.

لم تكن خيانة امرأتي هذين النبيين خيانة أخلاقية قط؛ إذ أننا نقرأ في الحديث عن النبي ﷺ: «ما بغت امرأة نبي قط»^(١)، كما أن ابن نوح تأثر بتيار المعارضين الهائل فانضم إليهم حتى قال القرآن الكريم بحقه: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾^(٢).

إنه غير صالح لا أهمية لارتباطه النسبي بك؛ وذلك لانفصاله عنك دينياً، هذا من ناحية. أما من ناحية أخرى فثمة أناس يذكروهم القرآن الكريم لم يكن لهم أي ارتباط مع الأنبياء لكنهم أصبحوا في عداد الخواص؛ لما تحلوا به من بصيرة.

ومن بين هؤلاء آسيا بنت مزاحم زوجة فرعون، التي ما أن رأت المعجزة التي جاء بها موسى ﷺ في مواجهة السحرة حتى أشرق نور الإيمان في فؤادها، وبقيت تكتُم إيمانها حتى حين، لكنها أعلنته أمام الملأ في آخر المطاف. فمارس فرعون عليها الضغوط كي تتخلى عن دين موسى ﷺ. غير أنها ظلت صامدة مما اضطر فرعون إلى تعذيبها، فأمر بدق يديها ورجليها بالمسامير، ووضعها تحت أشعة الشمس المحرقة، ووضع صخرة كبيرة على صدرها لكنها لم تتثن، وجعلها القرآن الكريم أسوة للمؤمنين كافة وليس للمؤمنات فحسب، يقول تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبَنِّبْنِي

(١) الدر المنثور، لجلال الدين السيوطي ٦: ٢٤٥.

(٢) هود: ٤٦.

مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾.

والنموذج الآخر هو (مؤمن آل فرعون)، فهو من أقارب فرعون ومن كبار رجال دولته، وقد استطاع أن يشق طريقه وسط ذلك الجحيم بما تحلّى به من بصيرة، فأمن بموسى عليه السلام وكان له دور مؤثر في إنقاذه من مخالب الفراعنة وإحباط مؤامراتهم ضده، وقد ذكره القرآن الكريم في عدة آيات ^(٢).

وورد في عشرات الروايات أن دخول الجنة أو النار إنما هو بالعمل لا بالنسب، وجاء في الحديث: «خلق الله الجنة لمن أطاعه ولو كان عبداً حبشياً، وخلق النار لمن عصاه ولو كان سيّداً قرشياً» ^(٣).

وفي حديث لأمير المؤمنين عليه السلام قال: «إنّ ولي محمد صلى الله عليه وآله من أطاع الله وإن بعدت لحمته، وإن عدو محمد من عصى الله وإن قربت قرابته» ^(٤). وهكذا يتضح أن الحد الفاصل بين العوام والخواص هو البصيرة، ولغرض بناء مجتمع يكون أبنائه جميعاً من الخواص، يتعيّن أن تنصبّ الجهود على تغذيته بالبصيرة، ولا بد من التحدث باستمرار عن الحق وموازينه، وعن الباطل ومواصفاته حتى تتهيأ للجميع فرصة الدخول في عداد الخواص.

(١) التحريم: ١١.

(٢) غافر: ٢٨، القصص: ٢٠.

(٣) بحار الأنوار: ٤٦: ٨٢.

(٤) نهج البلاغة: الحكمة ٩٦.

ربّ قائل يقول: ما أكثر الذين يعرفون الحق ويكونون مع الخواص، لكنهم يلوون رؤوسهم عن موقف الحق، ويقفون موقف اللامبالاة، أو يسلكون طريق المعارضة له. ولكن ينبغي للعلماء وهداة المجتمع أن لا يتوانوا عن الإرشاد؛ إذ أن: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾^(١).

لقد صنّف عليّ عليه السلام المجتمع إلى ثلاثة أقسام، فيقول: «الناس ثلاثة؛ فعالمٌ رباني، ومتعلّم على سبيل نجاة، وهمج رعا ع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ربح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق»^(٢). وفي الحقيقة، أن الصنفين الأولين هم الخواص والثالث من العوام، ويستفاد من هذا الحديث لزوم "نور العلم"، و"الركن الوثيق"، للخلاص من الابتلاء بـ"العوامية". وإذا ما تمسك المرء بالحجة في كل حركاته وسكناته على الصعيد الاجتماعي حينذاك سيكون هذان المبدآن خير معين له خلال مسيرته.

(العوامية) وسبل مواجهتها:

من الأمراض التي يبتلى بها المجتمع الناهض هو (العوامية) التي تعني: التأثر بالأجواء بدلاً من تحكيم المعايير، والارتهان بالتيارات بدلاً عن طلب الحق، وتعني (العوامية): فقدان البصيرة والجهل بمفهومه القرآني، فالجهل في ضوء المنطق القرآني ليس مرادفاً للغباء، بل أن كل عمل يخلو من الحكمة بإمكانه أن يصبح مصداقاً للجهل.

(١) المائة: ٩٩.

(٢) نهج البلاغة: الحكمة ١٤٧.

إن المجتمع الإسلامي المنشود هو المجتمع الذي يكون كل فرد فيه من الخواص، الجميع فيه يمتلكون القدرة على التحليل والبحث، ويتخذون مواقفهم عن بصيرة، وهذا ما سيتحقق في ظل حكومة العدل الإلهي بقيادة بقية الله الأعظم، أرواحنا فداه. وربما يتخذ جميع أو أغلب أبناء المجتمع النامي مواقفهم عن بصيرة، ويكون موقفاً مشتركاً، فهم والحالة هذه جميعاً من الخواص. وهذا الانسجام وهذه الأغلبية لا تمت لـ (العوامية) بصلة أبداً، بل هي اجتماع على الحق، فـ (العوامية) هي أن يكون القول الفصل للغواة والتيار لا للبصيرة.

وهذا ما أبتلي به الأنبياء والأئمة عليهم السلام على الدوام، فلطالما وقف السواد الأعظم بوجههم، هذا السواد الذي اصطنعه خواص أهل الباطل (الملا والمترفون)، وبتعبير آخر: إن الشياطين الذين يسيرون خواص الباطل يوجدون تياراً، فيتبعهم السواد الأعظم الذين يفتقدون القدرة على التحليل. على سبيل المثال طالما وقف تيار القداسة وأتباع الآباء بوجه الأنبياء، يقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾^(١).
من هنا فقد كانت الأكثرية موضع ذم من قبل القرآن الكريم:
﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

(١) الزخرف: ٢٣.

(٢) الأعراف: ١٣١.

﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(١).

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

من الواضح أن هذه الأكثرية هي المذمومة؛ لأنها تسلك طريق الباطل، ولا شك في أن هذا الاجتماع على الباطل هو الذي يمثل (العوامية). من هنا فإن ذوي البصائر لا ترعبهم هذه الأكثرية، بل إنهم يواصلون طريق الحق بكل صلابة وإن خلا إلا منهم، قال علي عليه السلام: «أيها الناس لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلّة أهله، فإن الناس قد اجتمعوا على مائة شعبها قصير وجوعها طويل»^(٣).

المراد من هذا الحديث: هو أن معظم حالات المعارضة التي يواجهها الحق سببها الدنيا وزخارفها.

وفي حديث آخر يصرح علي عليه السلام أن الذين تخلّوا عن حكومته العادلة، والتجأوا إلى معاوية لم يكن دافعهم سوى بلوغ الدنيا، فهم لم يهربوا من الجور بل إنهم لم يتحمّلوا عدل علي عليه السلام، يقول عليه السلام: «وإنما هم أهل دنيا مقبلون عليها ومهطعون إليها، وقد عرفوا العدل ورأوه وسمعوه ووعّوه وعلموا أن الناس عندنا في الحق أسوة، فهربوا إلى الأثرة فبعداً لهم وسحقاً»^(٤).

(١) المائة: ١٠٣.

(٢) الشعراء: ١٥٨.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ٢٠١.

(٤) نهج البلاغة: الرسالة رقم ٧٠.

سبيل القضاء على (العوامية):

إن أهم الطرق لاقتلاع هذا الوباء من المجتمع هو تحكيم المعايير، فلن يضلّ مجتمع تسوده الموازين، ويضع الحق معياراً لتمييز الأمور في ضوئه، ومحكاً يُمخّص الرجال والجماعات من خلاله.

بناءً على ذلك ينبغي لسراة الأمة أن تنصبّ مساعيهم الحثيثة على تشخيص الحق والتعريف بمصاديقه، وهذا أهم عملٍ يمكن القيام به على الصعيد الثقافي، وهو المراد من التصدي للغزو الثقافي.

أما إذا طمس الحق في المجتمع، وجعل أبنائه موازينه إذ ذاك ستصبح المحورية للأشخاص لا محالة، وعندها ينبغي توقّع ضللاً مبيناً في أوساط المجتمع. فكثيراً ما تؤدي هفوات وانحرافات الفرد الذي تحوّل إلى محور إلى ضلال وانحراف العشرات من بني البشر، وهذه هي المعضلة الكبرى التي عانى منها علي عليه السلام أثناء خلافته.

فقد واجه عليه السلام ثلاثة أطراف من المعارضة هم الناكثين والقاسطين والمارقين، والجميع كانوا مسلمين مخدوعين، يقومون الليل ويتلون القرآن، بل إن بعضهم كان ذا تاريخ مشرقٍ في المعارك التي خاضها رسول الله صلى الله عليه وآله، فكان ذلك مبعث حيرة وتذبذب لبعض البسطاء والسطحيين - وكما يعبرّ عنهم قائد الثورة الإسلامية (العوام) - من أصحاب علي عليه السلام. وقد ورد في عدة روايات أن بعض هؤلاء جاء إلى علي عليه السلام وعبرّ عن شكّه وريبته، وكان عليه السلام يردّ عليهم في جميع المواقف: أنكم لم تعرفوا الحق فوقعتم بالشبهة، ولو أنكم عرفتم الحق منذ البداية، وعرضتم الرجال عليه لما سقطتم في هذا الوادي.

ورد في (نهج البلاغة) أن الحارث بن حوت أتاه فقال: أتراني أظن أصحاب الجهل كانوا على ضلالة، فقال عليه السلام: «يا حارث، إنك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك فحرت، إنك لم تعرف الحق فتعرف أهله، ولم تعرف الباطل فتعرف من أتاه»^(١).

وما أكثر الذين بقوا على عواميتهم، وتخلّفوا عن جبهة الحق بالرغم من الإيضاحات التي كانت تصدر عن الإمام عليه السلام، وكنموذج على هذه الفئة هو الربيع بن خيثم الذي قال للإمام يوماً: يا أمير المؤمنين، إننا في شك في هذه الحرب، فإننا نخشى أن لا تكون شرعية، فقال له عليه السلام: ولم ذلك!، قال: لأننا نقاتل أهل القبلة، ونقاتل أناساً مثلنا يشهدون الشهادتين، ويقىمون الصلاة. وحيث إن الربيع كان يرى نفسه من الشيعة ولا يريد التنحي عن عليه السلام، لذلك قال: يا أمير المؤمنين، اعهد إليّ بعمل لا شك فيه، فقبل عليه السلام منه فبعثه إلى الثغور إذا ما وقعت معركة، فإنه يواجه الكفار والمشركين^(٢).

قال الإمام الصادق عليه السلام: «من دخل في هذا الدين بالرجال أخرجه منه الرجال كما أدخلوه فيه، ومن دخل فيه بالكتاب والسنة زالت الجبال قبل أن يزول»^(٣).

(١) نهج البلاغة: الحكمة ٢٦٢.

(٢) الأحاديث المعنوية لمرتضى المطهري ص: ٥١ - ٥٤.

(٣) ميزان الحكمة لمحمد محمدي ري شهري ٥: ٨.

١٥٤..... السيد أحمد خاتمي

أجل فالمجتمع الذي يبسط الحق سيادته فيه، وتكون الكلمة الأولى
للموازن الحقنة لن يكون هنالك مجال للمناورات والتضليل، وإلا سيتحول
ذلك المجتمع إلى بؤرة للرياء والخداع، والى وكرٍ يعشعش فيه الانتهازيون
فيثرون الأجواء ويفتعلون التوترا!

مواصفات الخواص

١. البصيرة:

وهي أولى مميزات الخواص حيث تركز مواقفهم على البصيرة دون أن يقرر مصيرهم هذا أو ذاك، أو تتحكّم فيهم الأجواء السائدة وما شابه ذلك، بل إنهم يتحركون في ضوء تحليلهم الشخصي، وما يتحلّون به من تمعّنٍ وبصيرة، وعلى أساس ذلك يتخذون مواقفهم.

كما عبر قائد الثورة الإسلامية (دام ظلّه)، قائلاً:

(الخواص هم الذين يحكّمون العقل والتحليل إذا ما أرادوا القيام بعمل، أو اتخاذ موقف، أو اختيار خط. فهم يتفهمون أولاً، ثم يتخذون القرار فيبادرون للعمل. هؤلاء هم الخواص، وعلى العكس منهم يقف العوام)^(١).

إن البصيرة تمثّل المحور الذي يتحرك في ضوئه الخواص، وهي أمر ضروري لحياة كل مجتمع ببعديها الفردي والاجتماعي، يصبو أبناؤه لأن يكونوا من الخواص.

إن فقدان البصيرة يعني (العوامية) التي يحفّها الخواء والطيش، وركوب الريح والميلان معها حيث مالت، أما البصيرة فمثلها كالنبراس ينير الدرب

(١) خطاب القائد في قادة الفرقة (٢٧)، بتاريخ ٢٢ محرم ١٤١٧هـ.

في الظلمات، وينجي من الضلالات.

والبصيرة تحافظ على المرء راسخ القدم، وتصونه من السقوط في المنزلات، وهي التي تمنح الإنسان القدرة على أن لا ينثني عن الصراط المستقيم وإن كان وحيداً غريباً فيه، وأن لا يستوحش من كثرة أنصار الباطل.

معنى البصيرة وأثرها:

تعني البصيرة وضوح الرؤية وانسراح الفؤاد، فالبصر هو العين الظاهرية، أما البصيرة فهي عين الفؤاد. والثانية هي التي ترسم الطريق في الحياة، أما فقدان البصيرة فذلك يعني العمى، وذلك ما عليه الكفار وعبيد الدنيا، يقول تعالى: (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ)^(١). فهؤلاء يمتلكون الأعين غير أنهم عميانٌ لافتقادهم البصيرة، والقرآن ينظر إليهم على أنهم أضلُّ من البهائم؛ لأنها لا تمتلك قابليات الإنسان وقدراته، فيما يمتلك عمي القلوب - هؤلاء - العديد من المنارات لكنهم يتمادون في غيِّهم، يقول تعالى: (لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ)^(٢).

(١) الروم: ٧.

(٢) الأعراف: ١٧٩.

ولاهمّ لفاقدي البصيرة في الحياة سوى اللذة، أما القيم والفضائل والكمالات فلا معنى لها بالنسبة لهم. وهم كما يعبر أمير المؤمنين عليه السلام:
«كالبهيمة المربوطة همّها علفها»^(١).

أما ذوو البصائر فإنهم يشخّصون طريق الحياة الطيبة بعين البصيرة، وديدنهم الحق وكفى، ولا تخذعهم الدنيا وزخارفها، ولم يجعلوا منها مذبحاً تنحر على أعتابه القيم، انظارهم متعلقة بعاقبة الأمور وليس في الحاضر. وهذا ما عبّر عنه أمير المؤمنين عليه السلام: «إن أولياء الله هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا إذا نظر الناس إلى ظاهرها، واشتغلوا بأجلها إذا اشتغل الناس بعاجلها»^(٢).

إن ذوي البصائر يجعلون من الحق شاخصاً لجميع مواقفهم، ولا يعرفون غيره أبداً، فيما تعتبر الدنيا هي الشاخص الوحيد الذي يتخذه فاقدوا البصيرة في حياتهم، فهم حاضرون أينما تكون زخارف الدنيا من لذة وورثاسة وأموال وشهوات وغير ذلك، وإلا فإنهم يغيبون عن الساحة. وهؤلاء هم الذين يسميهم القرآن الكريم الصم البكم، والحق كذلك، يقول تعالى:
﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾^(٣)، وهذا العمى أخطر أنواع العمى وأسوأه.

(١) نهج البلاغة: الرسالة رقم ٤٥.

(٢) نهج البلاغة: الحكمة ٤٣٢.

(٣) البقرة: ٨١ - ١٧١، الأعراف: ٦٤، الإسراء: ٧١.

١٥٨..... السيد أحمد خاتمي

فقد جاء عن علي عليه السلام قوله: «فقد البصر أهون من فقد البصيرة»^(١)،
وورد في رواية عن النبي صلى الله عليه وآله أن العمى الحقيقي هو فقد البصيرة: «ليس
الأعمى من يعمى بصره، إنما الأعمى من تعمى بصيرته»^(٢).

لقد تمثلت المعضلة المستعصية التي واجهتها حكومة علي عليه السلام على
مدى ما يربو على الأربع سنوات هي الابتلاء بمثل هؤلاء البشر، الذين
يصفهم عليه السلام: «حيارى عن الحق لا يبصرون»^(٣).

إنهم وبسبب فقدانهم البصيرة لم يستطيعوا التمييز بين ظاهر القرآن - أي
كتابته وجلده - وبين باطنه ومحتواه، لذا فقد وقعوا ضحية مكر معاوية
وعمر بن العاص، فعادةً ما يصبح فاقدو البصيرة آلة وألوبة بيد أرباب
السياسة، فيتحولون إلى سدٍّ منيع يقف بوجه مصالح الإسلام العليا.
في حديث له يصف علي عليه السلام حال هؤلاء الجهلة كما يلي: «.. ومن
رمى به الشيطان مراميه وضرب به تيهه»^(٤).

الخواص والبصيرة:

إن البصيرة من مميزات الخواص فهم يعرفون الحق ويتبعونه، وهو
الشخص الذي ينظم حركتهم، من هنا فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يرَبِّي
الخواص ويغذيهم بالبصيرة، ثم يدفع بهم إلى ميادين الجهاد.

(١) غرر الحكم.

(٢) كنز العمال: الحديث ١٢٢٠

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٢٥.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة ١٢٥.

فعلى مدى إقامته في مكة لم يصدر عليه السلام الأمر بالجهاد بالرغم من إلحاح أصحابه، واكتفى بالبناء الفكري والعقائدي لأنصاره، وهذه هي عملية الردف بالبصيرة. وكما يعبر الأستاذ الشهيد مرتضى المطهري رحمته الله: (في مكة استلهم المسلمون تعاليم الإسلام وتعرفوا على روحه، وتغلغلت الثقافة الإسلامية إلى أعماق نفوسهم، فكانت النتيجة أن تحوّل كلُّ منهم في المدينة إلى مبلغٍ حقيقي للإسلام، فأخذ النبي عليه السلام يرسلهم إلى أطراف البلاد وأكافها فأفلحوا في مهمتهم. وعندما كانوا يتوجهون إلى الجهاد كانوا يعرفون الهدف والغاية من جهادهم، وكما عبر عنهم أمير المؤمنين عليه السلام «حملوا بصائرهم على أسيافهم»^(١)، فمثل هذه السيوف المجربة والأمة الواعية هي التي قامت برسالتها في سبيل تحقيق الأهداف الإسلامية)^(٢).

لقد كان القول الفصل في جميع معارك الإسلام للبصيرة، لاسيما في المعارك التي خاضها الإمام علي عليه السلام؛ لأنها كانت ساحة مواجهة بين الحق والكفر الخفي، الكفر الذي تشرنق بحالة من الرياء والقداسة، لكن وصي رسول الله عليه السلام وخليفته استطاع بما تحلّى به من بصيرة التصدي لهم بحزمٍ وصرامة، فكان ذلك من مفاخره عليه السلام، ولقد قال عليه السلام: «أما بعد أيها الناس فأنا فقأت عين الفتنة، ولم يكن ليجرأ عليها أحدٌ غيري»^(٣). وذكر عليه السلام البصيرة بأنها الستر الذي وقف وراء كل ذلك الثبات والشجاعة، قال عليه السلام:

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٥٠،

(٢) قوة الجاذبة والدافعة في علي لمرتضى المطهري ص: ١٥٢.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة: ٩٣.

١٦٠..... السيد أحمد خاتمي

«وإني من ضلالهم الذي هم فيه، والهدى الذي أنا عليه، لعلى بصيرة من نفسي ويقين من ربي»^(١).

لقد صرّح علي عليه السلام لأصحابه بأنه إنما يقاتل أهل القبلة المبهورين بظاهر الدين ولا قدرة لأحد على إشهار راية الحرب بوجه هؤلاء الجهلة إلا الذين تزودوا بالبصيرة، قال عليه السلام: «ولا يحمل هذا العلم إلا أهل البصيرة والعلم بمواضع الحق»^(٢).

إن الحق هو المحور الوحيد بالنسبة لذوي البصائر، والله سبحانه هو الحق المطلق في عالم الوجود، يقول تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾^(٣)، وكل حق إنما هو مستمد منه ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٤).

ولا يتخذون - ذوو البصائر - غير إمام الحق إماماً وزعيماً في مواقفهم كلّها، ولا يختارون غير خطه، وذلك هو الصراط المستقيم، وذلك ما عبّر عنه الإمام الصادق عليه السلام بالإمام المفترض الطاعة في قوله: «فأما الصراط الذي في الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعة»^(٥)، إنه طريق الأئمة المعصومين عليهم السلام ونوابهم الخاصين والعامين.

(١) نهج البلاغة: الرسالة رقم ٦٢.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٧٣.

(٣) الحج: ٦.

(٤) البقرة: ١٤٧.

(٥) معاني الأخبار للشيخ الصدوق ص: ٣٢، باب معنى الصراط، الحديث ١، كنز الدقائق للميرزا محمد المهدي.

لقد حدّد أهل البصيرة طريقهم بعد النبي الأكرم ﷺ وعرفوا أن الصراط المستقيم هو صراط عليّ عليه السلام، فلم يتخلّ سلمان وأبوذر والمقداد وغيرهم عنه عليه السلام في أحلك ظروف غربته ووحده، وهذا هو معيار البصيرة على مر التاريخ، أي اتباع الإمام الحق والحجة الحق والتحرك في ضوئه.

يقول عبد الرحمن بن الحجاج - أحد أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام -: «كنا ذات يوم في مجلس أبان بن تغلب - وهو من أصحاب الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام - فسأله شاب: كم من أصحاب النبي ﷺ كانوا مع علي عليه السلام؟ فقال له أبان: كأنك تريد أن تعرف فضل علي عليه السلام وعظمته على أصحاب النبي ﷺ! قال الشاب: هو كذلك، فقال أبان: والله ما عرفنا فضلهم إلا باتباعهم إياه^(١). أي أن علياً عليه السلام هو معيار الحق «علي مع الحق والحق مع علي»^(٢).

حري بنا تقييم أصحاب رسول الله ﷺ وفق هذا الميزان، لا أن نقيس الإمام عليه السلام بأصحاب رسول الله ﷺ، ولقد كان من مفاخر شهداء كربلاء أنهم كانوا على أعلى درجات البصيرة، والجميع كانوا يتباهون بقتالهم في ركاب الإمام الحق، فكان ذلك الصبي يهزج: (أميري حسينٌ ونعم الأمير)^(٣)، فيما تركّزت وصية مسلم بن عوسجة - ذلك الشيخ المغوار - في آخر لحظات حياته في الدفاع عن الحسين عليه السلام، أما أبو الفضل العباس عليه السلام فقد

(١) معجم رجال الحديث، لآية الله الخوئي ١: ١٤٦.

(٢) ورد هذا الحديث في الكثير من مصادر الشيعة والسنة منها: المعيار والموازنة لأبي جعفر

الإسكافي ص: ١٩ و ٣٥، مناقب علي ابن أبي طالب لابن المغازلي ص: ٢٤٤.

(٣) نفس المهموم للشيخ عباس القمي ص: ٢٩٣.

كان ينادي بالقوم:

والله أن قطعتمُ يميني إنني أحامي أبدأً عن ديني
وعن إمامٍ صادقٍ اليقينِ نجل النبي الطاهر الأمين^(١)
هذه هي البصيرة، وأنه الوسام الذي أهده الإمام الصادق عليه السلام لعمّه
الشهيد حين قال: «كان عمنا العباس بن علي عليه السلام نافذ البصيرة»^(٢).

لقد تميّز خواص الأئمة عليهم السلام جميعاً بهذه الميزة السامية، فكانوا على منزلة
عظمية عندهم، فعلى سبيل المثال:

أنّ عبد الله بن يعفور - وكان من خواص الإمام الصادق عليه السلام - قال
للإمام عليه السلام: والله لو أنك قسمت رمانة واحدة إلى نصفين وقلت: هذا النصف
حلال وذاك حرام، فإني مسلمٌ لك. فدعا له الإمام عليه السلام قائلاً: «رحمك الله»^(٣).
وقد أوضح الإمام عليه السلام السر الذي يكمن وراء تكريمه له حين قال: إنه
«يقبل وصيتي ويطيع أمري»^(٤).

إن معرفة الإمام الحق واتباعه تمثّل العمود الفقري للبصيرة التي يتحلّى
بها الربانيون من الرجال، وقد ورد في شأن أصحاب المهدي عليه السلام: «وهم
أطوع له من الأمة لسيدها»^(٥).

(١) نفس المهموم ص: ٢٦٥.

(٢) نفس المهموم ص: ٣٣٥.

(٣) معجم رجال الحديث، لآية الله الخوئي ١٠: ٩٨.

(٤) المصدر السابق.

(٥) بحار الأنوار ٥٢: ٣٠٨.

إن السؤال الذي يشغل بال الخواص وذوي البصائر في كافة الأحوال هو: من هو الحجة؟ وما هو موقفه؟ فالحجة من السعادة الأخروية في اتباعه، وإننا نرى أن الحجة في الوقت الحاضر هو بقية الله الأعظم (أرواحنا فداء)، وأثناء غيبته فإنّ الوسادة تنشي للولي الفقيه، فهو الحجة المنصوب من قبله ﷺ؛ لقوله ﷺ: «فإنهم حجتى عليكم وأنا حجة الله»^(١).

موجبات البصيرة:

كيف يستنير الفؤاد؟ وما هو السبيل للاستضاءة بنور البصيرة؟ يرى القرآن الكريم والأحاديث الشريفة أن الإيمان بالله، والإخلاص والتقوى تعتبر أهم العوامل المؤثرة في هذا المجال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾^(٢)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣).

إنها حقيقة تتجلى في ظل بناء النفس، وتهذيبها من قبل الإنسان المرتبط بالنور الحقيقي الحاكم في عالم الوجود، أي الحق تعالى ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٤)، وحيثما يتحقق هذا الارتباط ستتحول روح

(١) نفس المصدر.

(٢) الأنفال: ٢٩.

(٣) الحديد: ٢٨.

(٤) النور: ٣٥.

الإنسان إلى ينبوع قياض للمعارف الإلهية.

وهذا المعنى تتضمنه العشرات من الروايات، حيث ورد: «ما أخلص العبد الإيمان بالله عز وجل أربعين يوماً.. إلا زهده الله عز وجل في الدنيا، وبصره داءها ودواءها، فأثبت الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه»^(١).

نعم، في ظلال التقوى ومجاهدة النفس يتوقد نور البصيرة في فؤاد المرء وروحه، وكما يعبر علي عليه السلام: «فزهَرَ مصباحُ الهدى في قلبه...»^(٢).
إن الإنسان إنما يدرك البصيرة في ظل التقوى، فيميز طريق الصواب والحق حينما تعصف به الأزمات، فيختاره طريقاً له. وعن طريق التقوى يحصل المرء على البصيرة فيرى ما لا يرى، ويغدو ما يخفى على الآخرين عياناً بالنسبة له.

(١) ورد هذا الحديث بعبارات مختلفة في الكتب التالية: عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق ص: ٢٥٨، عدة الداعي لابن فهد ص: ١٧٠. أصول الكافي ٢: ١٦ باب الإخلاص، ح ٦، إحياء العلوم للغزالي ٤: ٣٢٢. والتعبير في بعض المصادر هو: قال رسول الله ﷺ: «ما أخلص عبداً لله أربعين صباحاً إلا جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»، وفي بعضها الآخر: «من خلس لله أربعين يوماً فجزَّ الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»، وفي الأخرى: «ما من عبد يُخلص لله العمل أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»، وعبارة أخرى هي: «من زهد في الدنيا أربعين يوماً وأخلص فيها العبادة أجرى الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»: راجع: رسالة السير والسلوك المنسوبة لبحر العلوم، المقدمة والشرح للسيد محمد حسين الحسيني الطهراني ص: ٣٢ - ٣٣.
(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٨٧.

جاء في رواية عن النبي ﷺ أنه قال: «لولا تكثير في كلامكم، وتمريج في قلوبكم لرأيتم ما أرى، ولسمعتم ما أسمع»^(١). والتمريج: من (مرج)، وتقال للأرض التي يكثر فيها النبات فتمرج فيها الدواب، والمراد: أن قلوبكم قد تحوّلت إلى مواقع ترتع فيها شتى الرذائل.

وجاء في رواية أخرى: «لولا أن الشياطين يحومون حول قلوب بني آدم لرأوا ملكوت السموات والأرض»^(٢).

ومن ناحية أخرى فإن التعلق بالدنيا، وارتكاب الذنوب والمعاصي تعدّ من أبرز العوامل المؤدية للعمى، قال الإمام عليّ عليه السلام: «من أبصر بها بصّرته، ومن أبصر إليها أعمته...»^(٣).

أجل! فحيثما تكون التبعية يكون الأسر والعمى، والتعلق بالدنيا، وحب الرئاسة والمال وما شابه ذلك، فعن عليّ عليه السلام أنه قال: «أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع»^(٤). وحيثما يكون الانعتاق والتحرر تكون البصيرة، ووضوح الرؤية وانفتاح الفؤاد، وهذا ما أكّده عليّ عليه السلام في قوله: «ازهد في الدنيا يبصرك الله عوراتها»^(٥).

(١) رسالة لب اللباب لمحمد حسين الحسيني الطهراني: ٣٨ - ٣٩.

(٢) بحار الأنوار ٥٩: ١٦٣، ٦٣: ٣٣٣، ٧٠: ٥٩ و ١٦١.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ٨٢.

(٤) نهج البلاغة: الحكمة ٢١٩.

(٥) نهج البلاغة: الحكمة ١٣٩١.

وخلاصة القول: أن البصيرة هي أولى مميزات الخواص، ومحور هذه البصيرة هو الحق، واتباع الحق ميزة ذوي البصائر الذين يستلهمون هذا النور عن طريق التقوى والزهد، والتعلق برب العالمين والانعتاق عمّا سواه.

٢. الدفاع عن الحق:

الميزة الثانية للخواص: هي الملازمة الدائمة للحق ومجانبة الباطل، فالخواص لا يعرفون التخاذل أبداً، ربما يتسم موقفهم بالسكوت والترقب، أو الدفاع والإسناد العلني حيث تتفاوت الأحداث السياسية والاجتماعية إلى صنفين، وتبعاً لذلك يتخذ موقف الخواص في مثل هذه الأحداث طابعين هما:

أولاً - الموقف عند الفتنة:

ربما يتسم الحدث بالفتنة، أي عدم تمايز الحق عن الباطل، أو أن الحق واضح دون أن يتمكن طرف من إثبات حقانيته كاملة وبطلان الطرف المقابل، أو أن الحق جليّ غير أن اتخاذ الموقف يصبح سبباً في سوء الاستغلال من قبل أنصار الباطل، فيتعيّن هنا اتخاذ موقف الحياد في مثل هذه الأزمات الاجتماعية السياسية، يقول عَلِيٌّ: «كن في الفتنة كابن اللبون لا ظهر فيركب، ولا ضرع فيحلب»^(١)، أي عليك في مثل هذه الحوادث العمل بحيث تقطع الطريق على كلا الطرفين من استغلالك.

(١) نهج البلاغة: الحكمة ١.

ورد في مقطع آخر من الرواية أن علياً عليه السلام أردف بعد تلك النصيحة قائلاً: «كيف بك يا بني إذا صرت من قوم صبيهم عاد، وشابهم فاتك، وشيخهم لا يأمر بمعروف، ولا ينهى عن منكر. خوفهم آجل، ورجاهم عاجل، لا يهابون إلا من يخافون لسانه، ولا يكرمون إلا من يرجون نواله، إن تركتهم لم يتركوك، وإن تابعتهم اغتالوك، إخوان الظاهر وأعداء السرائر، يتصاحبون على غير تقوى، وإذا افترقوا ذم بعضهم بعضاً، تموت فيهم السنن، وتحيي فيهم البدع. فكن يا بني عند ذلك كابن اللبون لا ظهر فيركب، ولا ضرع فيحلب، ولا وبر فيسلب. فما طلابك لقوم إن كنت عالماً عابوك، وإن كنت جاهلاً لم يرشدوك، إن طلبت العلم قالوا متكلف متعمق، وإن تركت طلب العلم، قالوا عاجز غبي، وإن تحققت لعبادة ربك قالوا متصنع مرائي، وإن لزمت الصمت قالوا: ألكن، وإن نطقت قالوا: مهذار، وإن أنفقت قالوا مسرف، وإن اقتصدت قالوا: بخيل...» الوصية^(١).

ما أكثر مثل هذه الحوادث في التاريخ الإسلامي، سواء في عهد بني أمية أو عهد بني العباس، فظالما بادر حكام الجور هؤلاء إلى افتعال وقائع سياسية واجتماعية؛ لينشغل الناس بها وينسون قضاياهم الجوهرية، ويغفلون عن أهم مسألة لديهم وهي الولاية. وعلى هذا المنوال كانت الكثير من

(١) مصادر نهج البلاغة وأسانيده ٤: ٨.

١٦٨..... السيد أحمد خاتمي

أعمال افتعال الفرق، وهذا هو الدافع الذي يقف وراءها، فقد كانت فتنة حدوث وقدم القرآن ألعوبة بيد خلفاء الجور لمدة طويلة.

لقد روّج أحمد بن أبي داود لهذه القضية، وحاول المأمون ومن بعده المعتصم إجبار العلماء والمتحدثين على قبول فكرة خلق القرآن، وعرفت هذه القضية في التاريخ بـ (محنة القرآن)؛ إذ وقف كل من المأمون والمعتصم إلى جانب حدوث القرآن، ومارسوا العنف بحق الذين كانوا يعتقدون بقدوم القرآن.

فعلى سبيل المثال، جرى اعتقال أحمد بن حنبل خلال تلك الفترة، وأودع السجن وعذب فيه، ولما استلم المتوكل زمام السلطة مال إلى جانب القائلين بقدوم القرآن؛ وذلك للميول التي تربطه بالأشعريين، وعاقب القائلين بخلق القرآن أشد العقاب.

لقد كانت هذه الألاعيب خطوة في طريق إهراء الأمة الإسلامية؛ لذا فقد وردت روايات عن الإمام الرضا عليه السلام والإمام الهادي عليه السلام ينهيان فيها شيعتهم عن الخوض في هذه الفتنة، والامتناع عن إبداء أي رأي فيها.

يقول الريان بن الصلت: سألت علي بن موسى الرضا عليه السلام: ما تقول في القرآن؟ أهو حادث أو قديم؟ فقال عليه السلام: «كلام الله لا تجاوزوه، ولا تطلبوا الهدى في غيره فتضلّوا»^(١).

وقال عليه السلام في جواب آخر مشابه للأول: «ليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه

(١) التوحيد للشيخ الصدوق: ٢٢٤.

كلام الله عز وجل»^(١).

وبعث الإمام الهادي عليه السلام برسالة إلى شيعته في بغداد ينهاهم فيها عن الدخول في هذا الجدل، والرسالة كما يلي:

«بسم الله الرحمن الرحيم، عصمنا الله وإياك من الفتنة فإن يفعل فقد أعظم بها نعمة، وإن لا يفعل فهي الهلكة، نحن نرى أن الجدل في القرآن بدعة، اشترك فيها السائل والمجيب، فيتعاطى السائل ما ليس له، ويتكلف المجيب ما ليس عليه، وليس الخالق إلا الله عز وجل، وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله، لا تجعل له اسماً من عندك فتكون من الضالين، جعلنا الله وإياك من الذين يخشون ربهم بالغيب، وهم من الساعة مشفقون»^(٢).

وتارة كانوا يفتعلون قضية الجبر والاختيار، ويجعلون منها حديث الساعة؛ هذا المبحث الفلسفي العميق الدقيق الذي لا يمتلك جميع الناس القابلية والقدرة على ولوجه، وقد استغل سلاطين الجور هذه القضية أيضاً. يقول شبلي نعمان:

(بالرغم من توفّر جميع الأسباب والدواعي للاختلاف في المعتقدات، لكن منطلق ذلك السياسة والعمل من أجل مصلحة الدولة، وبما أن سوق سفك الدماء كان رائجاً في العهد الأموي، فكان من الطبيعي أن تبرز حالة

(١) التوحيد: ٢٢٣.

(٢) التوحيد: ٢٢٤.

١٧٠..... السيد أحمد خاتمي

التمرد في الأَطباع، ولكن كلما كانت تنطلق كلمة شكوى من أحد كان أنصار الدولة يعملون على إسكاتها وإخمادها بالقول: إن ما يحصل هو تقدير الله وبرضاه، وليس للناس أن يتكلموا بشيء "آمنا بالقدر خيره وشره" (١).

لقد كان ذلك دأب الأمويين، ولما جاء العباسيون، فبالرغم من مغايرة سياستهم لمن سبقهم فإن بعض حكامهم - لاسيما المأمون والمعتصم - ساندوا المعتزلة الذين يؤمنون بالتفويض والاختيار، غير أن موقفهم تغير منذ أن جاء المتوكل وما تلا عهده، حيث أخذوا بدعم معتقدات الأشاعرة التي من بينها الجبر.

على أية حال، إن القضية بكلا وجهيها كانت موضع استغلال من قبل سلاطين الجور، وقد نهى الأئمة عليهم السلام أتباعهم عن الدخول في هذا الجدل، بالإضافة إلى توضيحهم لرأي الشيعة في هذا المجال - وهو الأمر بين الأمرين - لخاصتهم الذين يمتلكون القدرة والقابلية على استيعاب هذه المسائل.

نعم، يتعين التزام جانب الحياد والسكوت حينما تلقي الفتن بظلالها، وتجنب اقتحام ميدان حب الجاه والأهواء النفسانية.

ثانياً - الموقف حينما يتجلى الحق:

أما النمط الثاني فيتمثل في الأحداث التي يتجلى فيها الحق بوضوح، وفي مثل هذه الحالة فإن الوازع الإيماني يقتضي الوقوف إلى جانب الحق

(١) تاريخ علم الكلام لشبلي نعمان ١: ١٤ نقلاً عن مجموعة آثار الشهيد المطهري ١: ٣٧٦.

بكل صراحة والتصدي للباطل، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «إن من حقيقة الإيمان أن تؤثر الحق وإن ضرك على الباطل وإن نفعك»^(١).

ويرى أمير المؤمنين عليه السلام بأن من خصال المتقين عدم الدخول في الباطل، وعدم الخروج من الحق: «ولا يدخل في الباطل ولا يخرج من الحق»^(٢).

إن الخواص يقفون إلى جانب الحق أينما كان، ولا يخافون في هذا السبيل لومة لائم. ولا معنى للحياد في قاموس الخواص؛ لأن الحياد في مقابل الحق يعني معاداته، فقد روي عن علي عليه السلام أنه قال لأصف بن قيس: «الساكت أخو الراضي، ومن لم يكن معنا كان علينا»^(٣).

ولم تكن الضربات التي تلقتها الإنسانية، وقيم الحرية والكرامة من قبل الساكتين عن الحق على مر التاريخ بالأمر الهين، وأن المسؤولية العظمى في انحراف المجتمع الإسلامي إنما تقع على عاتق الخواص الذين شخصوا الحق لكنهم لم يسندوه، بل إنهم - وللأسف - وقفوا بوجهه من أجل أيام معدودات من حياتهم المترفة الحيوانية.

وينبغي أثناء تحليل الوقائع المليئة بالمحن منذ السقيفة وحتى حادثة كربلاء إلقاء جانب كبير من تبعاتها على عواتقهم، والقرآن يرى أن الساكتين عن الحق يستحقون العذاب، شأنهم بذلك شأن الجناة والعصاة، فقد نقلت كتب التاريخ هذه القصة المليئة بالعبير:

(١) الخصال للشيخ الصدوق ١: ٥٣، ح ٧٠.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٣.

(٣) بحار الأنوار ٧٤: ٤٢١.

١٧٢..... السيد أحمد خاتمي

أن قوماً من بني إسرائيل كانوا يسكنون على شواطئ أحد البحار - ولعله البحر الأحمر - من بلاد فلسطين، وفي ميناء - يدعى ايله - ويعرف اليوم بميناء ايلات، فأراد الله سبحانه اختبارهم، فأمرهم تعطيل صيدهم يوم السبت، غير أنهم خالفوا ذلك الأمر فقاموا ببناء أحواض إلى جانب البحر ووصلوا تلك الأحواض به، فيقومون بفتح منافذ الأحواض نحو البحر أيام السبت فتدخلها أعداد كبيرة من الأسماك، ثم يعاودون إغلاق المنافذ عند المساء حينما يعودون إلى البحر، وفي يوم الأحد يباشرون بعملية صيد الأسماك، وكانوا يبررون عملهم هذا بأن الله نهانا عن صيد الأسماك فلم نصطد، وإنما قمنا بمحاصرة الأسماك في الأحواض فحسب.

وقد انقسم الناس في ذلك الاختبار إلى ثلاثة أقسام هي:

١- الأكثرية التي عارضت الأمر الإلهي.

٢- الأقلية التي انبرت لمواجهة الفئة الأولى، وممارسة الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر.

٣- المحايدون الساكتون الذين لم يوافقوا العاصين، ولم يقوموا بواجبهم

في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد أنبأنا القرآن الكريم أن الفئة الثانية هي التي نالت السلام والنجاة،

فيما طال العذاب الفئتين الأولى والثالثة: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا

الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا

يُفْسِقُونَ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾^(١).

(١) الأعراف: ١٦٥ - ١٦٦.

لا شك في أن هذا النسيان كان اختياراً وليس من النوع الذي يُقبل الاعتذار عنه، أي انهم قد تناسوا، ويستفاد من هاتين الآيتين أن كلاً من العصاة والساكتين نالوا العذاب، غير أن العصاة كان نصيبهم المسخ ومن ثم الهلاك، فيما كان جزاء الساكتين الهلاك دون المسخ، على أية حال فالعذاب نال الساكتين أيضاً.

وقد أكدت إحدى الروايات أن الساكتين الذين طالهم الانتقام لم يرتكبوا ما ارتكبه أولئك، ولم يحضروا مجالسهم لكنهم كانوا إذا رأوهم تبسموا لهم وأنسوا بهم، ولا يابهون لما يرتكبون من ذنوب كبيرة^(١).
ونقرأ في رواية أخرى عن علي عليه السلام أن الله أوحى إلى نبي من أنبيائه بأنني سأهلك مائة ألف من قومك بأجمعهم، أربعون ألفاً مذنبون وستون ألفاً من الصالحين، فقال النبي: ليهلك الأشرار ولكن ما بال الصالحين؟ فجاءه الجواب: واهنوا أهل المعاصي فلم يغضبوا لغضبي^(٢).

العالم المتهاون:

من هنا كان العالم المتهاون المتقاعس إزاء المنكرات والبدع محط تقريع وذم من لدن الباري جل وعلا، ورسوله عليه السلام إذ قال عليه السلام: «إذا ظهرت البدع في أمتي فليُظهر العالم علمه، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله»^(٣).

(١) راجع وسائل الشيعة للحر العاملي ١١: ٥٠٩.

(٢) راجع مستدرک الوسائل للمحدث النوري ١٢: ١٩٩.

(٣) بحار الأنوار ٢: ٧٢.

١٧٤..... السيد أحمد خاتمي

وجاء في رواية أخرى: «إن العالم الكاتم علمه يُبعث أنتن أهل القيامة ريحاً، تلعنه كل دابة حتى دواب الأرض الصغار»^(١).

وقال عليه السلام في حديث آخر: «أيما رجل آتاه الله علماً فكتمه وهو يعلمه لقي الله عز وجل يوم القيامة مُلجماً بلجام من نار»^(٢).

والتقريع الذي يوجهه القرآن الكريم لعلماء اليهود والنصارى إنما بسبب تهاونهم في الدفاع عن الحق، والتزامهم الصمت أزاء المنكرات: قال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾^(٣).

إن حديث القرآن يؤكد على أن علماء اليهود كانوا من الخواص، أي أنهم ميّزوا الحق عن الباطل لكنهم لم يؤيدوا الحق، بل كتموه: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٤).

ويرى القرآن الكريم أن العلة في هذا الإدبار عن الحق هو حب الدنيا، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ

(١) المصدر السابق.

(٢) بحار الأنوار: ٢: ٦٨.

(٣) المائدة: ٦٣، والربانيون: جمع رباني وهي مأخوذة من "رب" ويعني العالم الذي يدعو الناس إلى الله، غير أن هذه الكلمة تطلق في كثير من الموارد على علماء النصارى، والأحبار: جمع "حبر" وتعني العلماء الذين يتركون أثراً صالحاً في أمتهم غير أنها غالباً ما تطلق على علماء اليهود.

(٤) البقرة: ١٤٦.

ثَمَنًا قَلِيلًا أَوْلَيْتَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ^(١).

تصرّح هذه الآية بأن السبب الذي يكمن وراء انحراف هؤلاء هو حطام الدنيا، فالدنيا مهما بلغت من القدر تبقى متاعاً قليلاً.

وخلاصة القول: أن الخواص هم الذين يظهرون الحق حينما يتميّز عن الباطل، ويذودون عنه ويبدلون قصارى جهودهم من أجل القضاء على الباطل.

الذود عن الحق:

الخواص حماة الحق في الزمان والمكان المناسبين، فلو جاء الدفاع عن الحق متأخراً فمثله كعدمه، فربما يبادر البعض للدفاع عن الحق في وقت يكون الأمر قد انقضى، ولم تعد هنالك أهمية لذلك الدفاع. وقد أكدت الروايات على (اغتنام الفرص) واصفة إياه بالغنيمة وإضاعتها بـ (الغصة)، قال علي عليه السلام: «بادر الفرصة قبل أن تكون غصة»^(٢).

فيما يصف عليه السلام الأناة في إنجاز الأعمال وتضييع الفرص بأنه من الجهل، فيقول عليه السلام: «من الخرق المعاجلة قبل الإمكان، والأناة بعد الفرصة»^(٣).

إن لاغتنام الفرص في مجال الذود عن الحق دوراً حيويّاً وفاعلاً في بسط حاكميته، من هنا عُدَّت (السابقة في الإسلام والجهاد) ذات قيمة عظيمة في

(١) البقرة: ١٧٤.

(٢) بحار الأنوار ٧١: ٣٣٧.

(٣) نهج البلاغة: الحكمة ٣٦٣.

نظر القرآن الكريم؛ لأن الدفاع عن الإسلام في غربته يُعدّ تأييداً للحق في الوقت المناسب. ومما لا شك فيه أن هذا الدفاع البطولي هو الذي مهد الانتصارات الباهرة التي حققها الإسلام، يقول تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾^(١).

وسواء كان المراد من الفتح فتح مكة أو فتح الحديبية، فإن المعنى المستفاد من الآية هو القيمة الرفيعة للإنفاق على صعيد المال والنفس أثناء الظروف المتأزمة التي مرّ بها الإسلام، من هنا كان النبي ﷺ يرى لخديجة رضي الله عنها المنزلة الرفيعة والمكانة السامية؛ لأنها نصرت الإسلام أيام غربته، وضحت بأموالها ونفسها من أجله.

تقول عائشة: ما خرج رسول الله ﷺ من البيت يوماً إلا وذكر خديجة، وذات يوم غلبتني غيرة النساء، فقلت له: وهل كانت خديجة إلاّ عجوز قد أبدلك الله بخير منها؟ وتقصد بذلك نفسها إذ كانت شابة، فاغتاض النبي ﷺ وقال: «لا والله ما أبدلني الله بخير منها، آمنت بي إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذّبني الناس، وواستني في مالها إذ حرمني الناس»^(٢). لقد نالت رضي الله عنها تلك العظمة بسبب نصرتها للحق بالوقت المناسب.

وفي تحليله لواقعة عاشوراء أكد سماحة قائد الثورة الإسلامية "دام ظله"

(١) الحديد: ١٠.

(٢) أسد الغابة لابن الأثير ٥: ٥٣٩.

على هذه المسألة، وهي: لو أن أهل الكوفة نصرُوا الحق عند الحاجة لنصرته، ولم يتخلَّوا عن سفير الحسين عليه السلام ربما لم تقع الأحداث الأليمة فيما بعد، يقول (حفظه الله):

(لو أن أمثال شبت بن ربعي خافوا الله في تلك اللحظات الحساسة بدلاً من ابن زياد لتبدل التاريخ! لقد تفرَّق العوام، ولكن لماذا تفرَّق الخواص من المؤمنين الذين التفتوا حول مسلم بن عقيل؟ فقد كان من بينهم أناس صالحون حضروا كربلاء فيما بعد، غير أنهم أخطأوا في تلك الأثناء. وبطبيعة الحال فإن شهادة بعضهم في كربلاء كانت كفارة لأخطائهم، ولا نقاش لنا حولهم، كما أننا لا نشير إلى أسمائهم، لكننا نتحدث عن أولئك الذين لم يحضروا كربلاء، ولم يحالفهم الحظ في الحضور، فانضموا فيما بعد إلى صفوف التوابين! ولكن ما الفائدة حيث قتل الحسين عليه السلام ووقعت الفاجعة، وسارت عجلة التاريخ نحو الانحدار؟

من هنا فإنكم تشاهدون أن عدد التوابين يعادل عدة أضعاف عدد شهداء كربلاء، وأن شهداء كربلاء قتلوا جميعاً في يوم واحد وهكذا التوابون، لكن الأثر الذي تركه التوابون في التاريخ لا يعدل حتى واحداً من الألف بالنسبة لأثر شهداء كربلاء، وما ذلك إلا بسبب أن أولئك لم ينزلوا الميدان في الوقت المناسب، ولم يقوموا بواجبهم في وقته، إنهم اتخذوا القرار متأخرين وشخصوا واجبهم متأخرين).

٣. الثبات على الحق:

الميزة الثالثة للخواص: هي الثبات على الحق، ولا معنى للزمان والمكان في نصرة الحق؛ إذ أن القيم خالدة، والخواص يناصرون الحق ما دام موجوداً، وإذا ما أدركوا أن ما تصوره حقاً كان خطأً، فإنهم يمتلكون الشهامة على الاعتراف بذلك، أما إذا اقتنعوا بموقف الحق فإنهم لن يتخلوا عنه مهما كلف الثمن.

إنهم حماة الحق، ولديهم الاستعداد على تحمّل المشاكل في هذا السبيل، وتقبل تبعات الدفاع عن الحق، وقد عبّر القرآن الكريم عن هؤلاء بـ (رَبِّيُونَ)؛ أي المرتبطون بالله ارتباطاً وثيقاً لا ينفصم: ﴿وَكَايِّنَ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾^(١).

إن الخواص يعلمون أن الثبات على طريق الحق يتطلب رصيماً ضخماً من الأموال والكرامة والأنفس... الخ، وهم على استعداد للتضحية بكل ذلك في هذا السبيل، ولن يصيبهم الوهن والضعف، ولا يخضعون للعدو أو يستسلمون له. إنهم أحباء الله، وذلك لاستقامتهم على طريق الحق، وهو تعالى الذي يمنّ عليهم باللطف والرحمة ليواصلوا طريقهم بكل صلابة وإقدام دون أن يتطرق إليهم القلق والاضطراب، ولا معنى للخوف في قاموسهم، وقد صرّح القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ

(١) آل عمران: ١٤٦.

وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١﴾.

الملفت للانتباه أن الاستقامة هذه فسرت في إحدى الروايات أنها الاستقامة على ولاية علي عليه السلام ^(٢) التي تمثل رمز الحق، أي إنها تعني الاستقامة على التوحيد والولاية.

ورد في رواية: أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: أخبرني بأمرٍ اعتصم به، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «قل ربي الله ثم استقم» ^(٣).

إن الثبات على الحق لا يعدّ مصدرًا لإعمار الآخرة فحسب، بل هو مبعث لازدهار هذا العالم أيضاً. فنزول الرحمة الإلهية في هذا العالم رهين بالثبات على الإيمان أيضاً، يقول تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ ^(٤)، وحيثما توفر الماء توفر كل شيء، من هنا فإن ما يعنيه كلام الحق هذا هو أننا سنشملهم بأنواع النعم.

على الخواص أن يتعلموا الاستقامة من نبي الإسلام العظيم صلى الله عليه وآله وسلم، ويثبتوا في خندق الحق، ويقفوا كالطود الشامخ بوجه المشاكل، فإن الاستقامة في الصراط المستقيم تستحق كل هذا الصبر.

قال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ^(٥).

(١) الأحقاف: ١٣-١٤.

(٢) تفسير نور الثقلين ٥: ١١.

(٣) تفسير روح البيان ٨: ٢٥٤.

(٤) الجن: ١٦.

(٥) هود: ١١٢.

الإيمان المرحلي:

إن الإيمان المرحلي والمتقلب لا قيمة له من وجهة نظر القرآن الكريم، بل إن الإيمان النابع من أعماق النفس هو الذي يحظى بالأهمية؛ لما يستتبعه من ضروب التضحية والفداء، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾^(١).

وسواء اتخذنا مفردة (على حرف) بمعنى الإيمان القشري الذي لم يترسخ في الفؤاد، أو بمعنى أولئك الذين وقفوا على شفا الإيمان ولم يحضوا الإسلام والإيمان محضاً، فإذا ما حققوا أمانهم الدنيوية عن طريق الدين بقوا عليه وإلا فإنهم يتخلون عن الصراط المستقيم، فإن المفاد في كلتا الحالتين هو أن هنالك فئة من الناس تتصف بالإيمان المرحلي المتقلب، ومثل هذا الإيمان لا يمثل منزل السعادة بالنسبة للإنسان؛ لأنه في حقيقته يمثل عدم الإيمان بعينه.

وروى المفسرون في شأن نزول الآية المتقدمة:

كان أناسٌ من البادية يأتون النبي ﷺ فيؤمنون، فإذا ما أصابهم خيرٌ في ذلك العام وتحسنت أحوالهم، وولدت نياقهم وولدت نساؤهم الولدان، وكثرت أموالهم فرحوا بها واعتبروا ذلك من بركات الدين فيؤمنون بالنبي، أما إذا صادف ولم يحصلوا في تلك السنة على ما يريدون، فإنهم يقولون إن

(١) الحج: ١١.

هذا الشقاء بسبب الدين الذي آمنّا به، وهكذا فإنهم يفارقون الدين!^(١)
يطلق على مثل هذا الإيمان: الإيمان المتقلب، وهو في حقيقته فقدان
الإيمان مغلف بغلاف الدين، ويقابله الإيمان الواقعي النابع من الاعتقاد
القلبي الراسخ، الذي يثمر نصرة الدين والدفاع عنه، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا
الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾^(٢).
وقد بينت الآية ثلاث مزايا للإيمان الصادق هي:

- ١- أنه الإيمان النابع من أعماق النفس، ولا يتطرق إليه الريب والإزدواجية.
- ٢- أنه إيمان يقترن مع الجهاد بالمال.
- ٣- أنه يقترن مع الجهاد بالنفس.

شخصيات انزلت:

شهد التاريخ أشخاصاً كثيرين كانوا من المؤمنين، لكنهم أخفقوا في
الثبات على هذا الخط، نورد منهم على سبيل المثال:
أ - الشيطان:

قال علي عليه السلام: «...وكان قد عبد الله ستة، آلاف سنة لا يُدرى أمن سني
الدنيا، أم من سني الآخرة...»^(٣).

(١) راجع تفسير الفخر الرازي ٢٣: ١٣، وتفسير القرطبي ٦: ٤٤٠٩.

(٢) الحجرات: ١٥.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢.

لقد كان الشيطان مؤمناً بالله واليوم الآخر، وعبد الله ستة آلاف سنة، غير أن لحظة من التكبر هوت به من الملكوت إلى الحضيض.

ب - بلعم بن باعورا:

فقد كان من علماء بني إسرائيل، وله منزلة سامية عند الله سبحانه بحيث إنه كان مستجاب الدعاء، فاستعمله موسى ﷺ كمبلغ مقتدر، لكنه انحرف عن جادة الصواب نتيجة جنوحه نحو فرعون ووعوده وتهديداته، ففقد بذلك كل مقاماته حتى بلغ الأمر أن ينضم إلى معارضي موسى ﷺ، يقول القرآن الكريم بهذا الصدد: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١). يستفاد من هذا النص القرآني بجلاء أن أهم دواعي الانحراف عن جادة الحق هو التعلق بالدنيا، والانبهار بزخرفها وزبرجها ولذائذها.

ج - طلحة:

هو من أهل مكة ومن السابقين في الإسلام، وله دور فاعل في معارك أحد والخندق.. الخ، وبالرغم من تاريخه المشرق فقد وقف في نهاية المطاف بوجه إمام الحق علي ﷺ، وتمرد عليه فاحترق بنيران فتنته التي أشعلها بيده.

(١) الأعراف: ١٧٥-١٧٦.

د - الزبير بن العوام:

من السابقين في الإسلام فهو رابع أو خامس من أسلم، وكان عمره آنذاك اثنا عشر أو خمسة عشر أو ستة عشر عاماً، وهاجر الهجرتين؛ الأولى إلى الحبشة والثانية إلى المدينة. وكان من خاصة النبي ﷺ، وقد روي عنه ﷺ: «لكل نبي حواري، وحواري الزبير بن العوام»^(١).

كان رجلاً شجاعاً مقداماً يُلجأ إليه عند المواقف الحاسمة، منها على سبيل المثال: أن النبي ﷺ لما أراد في معركة الخندق معرفة أخبار قريش، نادى: من يأتيني بأخبار قريش؟ نهض الزبير وقال: أنا يا رسول الله. فكرر النبي ﷺ ذلك ثلاثاً، ولم يبق إلا الزبير فذهب وجاء بالأخبار.

كان من الموالين والمحبين لأمر المؤمنين ﷺ، ملازماً له حتى مستهل خلافته. وروي أن القوم لما أقتادوا علياً ﷺ إلى المسجد استلّ الزبير سيفه، وهجم على عمر صارخاً: «يا معشر بني هاشم، أيفعل هذا بعلي وأنتم أحياء»^(٢).

كان الزبير من أوفى أصحاب علي ﷺ، فلما طلب ﷺ من أصحابه الحضور عند صباح اليوم التالي حليقي الرؤوس متنكبي السيوف، لم يف بوعده سوى سلمان وأبو ذر والمقداد والزبير، وكان مسانداً لعلي في الشورى التي عقدها عمر.

(١) مسند الإمام أحمد - ٤: ١٠١.

(٢) الاختصاص للشيخ المفيد ﷺ، ص: ١٨٤ - ١٨٧.

أجل، فإن رجلاً له مثل هذا التاريخ المتألق خدعته الدنيا في آخر المطاف، فكان ممن أجبج فتنة الجمل وقُتل فيها.

إن الأصل هو الثبات على الصراط المستقيم لا الدخول فيه، وحقاً قالوا: المهم الثبات على الثورة لا الثورية.

ذم التقلب:

وصمت الروايات التقلب بأقبح الصفات وأرذلها، والتقلب: عبارة عن الانتهازية وتغيير المواقف في ضوء الأطماع والمصالح الدنيوية، وقد عدّ علي عليه السلام التلون من صفات المنافقين، فيقول عليه السلام: «... وأحذركم أهل النفاق، فإنهم الضالون المضلّون، والزالون المزلّون، يتلونون ألواناً، ويفتنون افتناناً»^(١).

وقال علي عليه السلام في حديث آخر: «اعلموا أن الله تبارك وتعالى يبغض من عباده المتلون، فلا تزولوا عن الحق وولاية أهل الحق، فإن من استبدل بنا هلك وفاتته الدنيا، وخرج منها بحسرة»^(٢)، وورد في رواية أخرى: «وخرج منها صاغراً»^(٣).

ولا يتلوث الخواص برذيلة التلون أبداً، فهم يصمدون على موقف الحق الذي يتخذونه، وليس في قاموسهم مجالاً للندم؛ لأن اتباع الحق والالتزام به

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٤.

(٢) بحار الأنوار ١٠: ١٠٥.

(٣) بحار الأنوار ٦٩: ١٢٦.

لا يورث الندم أبداً، بل هو مصدر فخرٍ وعزٍّ.
ولا وجود في قاموس الخواص للحسرة والحزن والخوف؛ لأنهم ومنذ
البداية حيث اختاروا لأنفسهم موقف الحق، أعدوا أنفسهم لكل تبعاته، ولا
معنى للقلق عند الخواص؛ لأن اتخاذ الموقف في ضوء التكليف الشرعي
يعتبر مصداقاً للآية الكريمة ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(١).
ولا معنى عندهم للمساومة مع الأعداء حول الأصول والمعتقدات وإن
تميّزوا بالمرونة فيما يتعلق بالفروع، شأنهم في ذلك شأن النبي ﷺ، ولا شأن
لهم بالمناوراة وإن نالوا الدنيا بما فيها، نعم الخواص هم رجال التكليف
وحسب! ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾^(٢).

(١) الرعد: ٢٨.

(٢) الأنعام: ٩١.

أسباب الانحراف عن الحق

يتركز البحث في موضوع الخواص حول الدوافع التي تدعو بعض الخواص للعدول عن الحق، واتخاذ موقف اللابالية أو العداء له، ما أكثر أولئك الذين شهد لهم التاريخ الإسلامي بالبصيرة وتمييز الحق عن الباطل، بيد أنهم ما لبثوا أن ركلوا بصيرتهم بأقدامهم، وانضموا إلى الجبهة التي تقف بوجه الحق، ومن بين هذه الفئة الزبير وطلحة وغيرهما.

وكان الكثير من أهل الكوفة ممن تخلوا عن مسلم بن عقيل سفير الحسين عليه السلام، وتركوه وحيداً على هذه الشاكلة. وأن عبد الله الأفتح ابن الإمام الصادق عليه السلام - الذي ادعى الإمامة زوراً - كان يعلم جيداً بأن مسند الإمامة حق لأخيه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ولم يكن جعفر الكذاب ابن الإمام الهادي عليه السلام أهلاً للإمامة، وهو يعلم بذلك وأن الإمامة من نصيب ابن الإمام العسكري عليه السلام بقية الله الأعظم - أرواحنا فداه -، وبالرغم من ذلك فإنه ادعى الإمامة زوراً.

وكان أقطاب الواقفية - الذين أنكروا إمامة علي بن موسى الرضا عليه السلام - من وكلاء الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وخواصه، وطالما سمعوه يتحدث عن الإمام الرضا عليه السلام.

هذه طائفة من عشرات النماذج عن عدول بعض الخواص عن الحق.
السؤال الرئيسي هو: ما السرّ الذي يقف وراء هذا العدول والانحراف عن
الحق؟

حريّ بنا التنقيب عن هذا السر في (حب الدنيا)، فإذا ما تحولت الدنيا
إلى غاية ومعبود لدى الإنسان حينذاك علينا توقع حصول مثل هذه
الانحرافات، وحيثما تحولت الدنيا إلى (معبود) ستصبح مسلخاً تُنحر على
أعتابه كل القيم الإلهية، وتُستبدل القيم بما يناقضها.

وواضح المراد من الدنيا، إنها مجموعة التعلقات: حب الرئاسة، حب
المال... الخ، وحب الدنيا أهم ما كان يبعث القلق في نفس النبي ﷺ على
أمته.

يروى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ قوله: «إن أكثر ما أخاف عليكم
ما يخرج الله لكم من بركات الأرض»، قيل له: وما بركات الأرض؟ قال
ﷺ: «زهرة الدنيا»^(١).

وحب الدنيا - على وجه الدقة - من مصاديق التقهقر الذي تنبأ به القرآن
الكريم حينما قال: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾^(٢)، ومن
الأبعاد الجليلة لهذا الانقلاب على الأعقاب والتقهقر هو حب الدنيا الذي
أبتليت به الأمة - للأسف - بعد النبي الأكرم ﷺ.

(١) المحجة البيضاء للفيض الكاشاني ٥: ٣٥٨.

(٢) آل عمران: ١٤٤.

١٨٨..... السيد أحمد خاتمي

أجل، فإن حب الدنيا منشأ كل انحراف عن الحق، وكل فتنة وأزمة،
وكما يقول رسول الله ﷺ: «حب الدنيا أصل كل معصية، وأول كل
ذنّب»^(١).

وما عبر عنه أمير المؤمنين عليه السلام: «حب الدنيا رأس الفتن، وأصل
المحن»^(٢).

إن حب الدنيا يمثل سر الأسرار في الإعراض عن الحق، وهو السبب
الرئيس في التقاعس عن نصرته الحق. وفي ضوء تصريح قائد الثورة
الإسلامية:

(عندما يصبح حال الخواص من أنصار الحق في المجتمع بغالبيتهم
الساحقة منكبين على دنياهم، فيكونون على استعداد لقبول حكم الباطل؛
خوفاً على أرواحهم وأموالهم ومناصبهم، وخشية النفور والعزلة، ولا يقفوا
بوجه الباطل ويناصروا الحق، ولا يلقوا بأنفسهم في المخاطر. إذ ذلك تكون
البداية استشهاد الحسين بن علي عليه السلام بتلك الصورة المأساوية، والنهاية
تسلط بني أمية وزمرة بني مروان ومن بعدهم بنو العباس، ثم سلسلة
السلاطين الذين حكموا العالم الإسلامي إلى يومنا هذا)^(٣).

(١) مجموعة ورام ٢: ١٢٢.

(٢) الفهرس الموضوعي لغرر الحكم ص: ١١١.

(٣) كلمة قائد الثورة الإسلامية بتاريخ ٢٢ محرم ١٤١٧هـ أمام قادة الفرقة (٢٥) محمد رسول الله ﷺ.

صور حب الدنيا:

إن حب الدنيا يمثل أخطر منزلق يتعرّض له الخواص، وعليهم أن يتحلّوا بالحذر والحيلة لئلا يسقطوا فيه، ولحبّ الدنيا الكثير من الصور نتطرق هنا لبحث أربع منها:

١. حب الذات

أول صور حب الدنيا، حب الذات وتصورها صنماً يستحق العبادة! إن حب الذات يعني تصور الذات ومتعلقاتها حقاً، والدفاع عن الآراء والنظريات الشخصية دون نقاش بعيداً عن المنطق، وجعلها محوراً للحب والبغض.

وقد اعتبر الإمام الصادق عليه السلام ذلك بداية للشرك، فقال: «إن أول الشرك من ابتدئ رأياً فأحب عليه، أو أبغض عليه»^(١).

إن أول درجات الشرك (محمورية الذات)، وهي منطلق انحراف كبير يدمر الدنيا والآخرة، ويسلب من الإنسان القدرة على إدراك الحقائق: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾^(٢).

(١) أصول الكافي ٢: ٣٩٧، باب الشرك، ح ٢.

(٢) الجاثية: ٢٣.

لقد روي لهذه الآية شأن نزول عجيب تقشعر له الأبدان، ينبئ عن أن حب الدنيا سبب الانحدار، وشأن النزول كما يلي:

إن الوليد بن المغيرة خرج ليلاً بصحبة أبي جهل ليطوفوا حول الكعبة، وأثناء الطواف جرى الحديث عن النبي ﷺ، فقال أبو جهل: والله إنني لأعلم أنه صادق، فقال له الوليد: مه! من أين لك هذا الكلام؟ قال أبو جهل: يا وليد! كنا نسميه في صغره وشبابه بالصادق، فكيف نسميه كذاباً وخائناً بعد أن اكتمل عقله وكمالاه؟ وإنني لأقولها ثانية: إنني لأعلم إنه صادق، قال الوليد: فلم لا تصدقه وتؤمن به؟ قال: أتريد أن تجلس نساء قريش ويقلن أنني أسلمت لابن أخي أبي طالب خشية الهزيمة؟ أقسم بالللات والعزى أن لا أتبعه أبداً^(١)، هنا نزلت الآية أعلاه.

وقد جاء في الحديث «ما عبد تحت السماء إله أبغض إلى الله من الهوى»^(٢)، لا شك في أن الحديث يخلو من المبالغة؛ لأن الأصنام المتعارفة وجودات لا شأن لها، غير أن صنم الهوى يغوي ويسوق نحو أصناف من المعصية والانحراف، وأن هواجس النبي ﷺ كانت لحاكمية هذا الصنم، وفي روايات كثيرة بإمكاننا الادعاء باستفاضتها وصف النبي ﷺ أهم مخاوفه لأمرين هما: اتباع الهوى، وطول الأمل^(٣).

(١) تفسير المراغي: ج ٢٥، ص ٢٧.

(٢) تفسير القرطبي: ج ٩، ص ٥٩٨٧.

(٣) «إن أخوف ما أخاف على أمتي الهوى وطول الأمل، أما الهوى فإنه يصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة»، انظر: بحار الأنوار: ج ٧٠، ص ٧٥ - ٧٧.

الكبر وحب الذات

من أبرز أبعاد حب الذات (الكبر)، فالكبر يعني عبودية الهوى، ويعني تصور أفضلية الذات على الآخرين، وهي خصلة باطنية ذات تجليات خارجية، منها عدم الإذعان للحق.. الخ.

إن نظرة إجمالية لأعداء الأنبياء توصلنا إلى هذه القناعة بأن أهم أسباب معاداة الأنبياء هو الكبر، فأولئك ومن خلال استعراضهم لأموالهم وثوراتهم وأنصارهم كانوا يحسبون أنفسهم الأعلون والأنبياء هم الأذنون، فكان منطقتهم: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّينَ﴾^(١). وبهذا المنطق انبرى فرعون لمناهضة موسى عليه السلام: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ * أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾^(٢)، بهذه الرؤية المتعالية وقف فرعون بوجه موسى عليه السلام.

إن الكبر إفراز لحب النفس، وعلامته امتهان الحق وسحقه، قال الإمام الصادق عليه السلام: « إن أعظم الكبر غمصُ الخلق، وسفه الحق». يقول الراوي فسألته عن معنى هذا الكلام، فقال عليه السلام: «يجهل الحق، ويطعن على أهله»^(٣).

(١) سبأ: ٣٤ - ٣٥.

(٢) الزخرف: ٥١ - ٥٢.

(٣) أصول الكافي ٢: ٣١٠، باب الكبر، ح ٩.

العجب وحب الذات

الصورة الأخرى لحب الذات هو العجب، وأن الكبر والعجب كلاهما من تفرّعات حب الذات مع اختلاف أن الكبر يعني التعالي؛ أي تصور النفس هي العليا قياساً للآخرين، أما العجب فهو العظمة وتصور فعل الذات مرموقاً استثنائياً وإن لم يكن كذلك قياساً مع الآخرين.

وبعبارة أخرى: إن للآخرين وجود في الكبر، ولكن ليس الأمر كذلك في العجب، قال الإمام الصادق عليه السلام: «من دخله العجب هلك»^(١).

الجبن وحب الذات

الصورة الأخرى لحب الذات هو الجبن، الذي يصبح في كثير من الحالات سبباً في العدول عن موقف الحق، وبسبب هذه الرذيلة ترك أهل الكوفة مسلم بن عقيل وحيداً، بالرغم من أنهم كانوا يعتقدون في أعماقهم بأحقية الإمام الحسين عليه السلام ومندوبه.

لقد هدد ابن زياد بأن أي زعيم قبيلة يكون في قبيلته رجل من معارضي يزيد ولم يبلغ عنه، فسوف يعلّق أمام داره^(٢). ولما دخل قصر الإمارة خطب بالناس قائلاً: لقد أمرت بالشدة، ومواجهة من ناوأني بالسوط والسيف!^(٣).

وقد فعلت هذه التهديدات فعلها بحيث كان الوالد يأتي فيأخذ بيد ولده ويسحبه، والأخ بيد أخيه، والزوجة بيد زوجها... الخ، حتى بلغ الأمر بمسلم

(١) أصول الكافي ٢: ٣١٣، باب العجب، ح ٢.

(٢) الارشاد، للشيخ المفيد ٢: ٤٢.

(٣) تاريخ الطبري ٧: ٢٤٢.

بن عقيل الذي استقبله عشرون ألفاً، أن لم يبق معه من يرافقه، فأخذ يجوب أزقة الكوفة غريباً لا يدري أين يحطّ رحاله^(١).

لو كان الله هو المحور بالنسبة للإنسان بدلاً من الذات والحياة المرفهة لأيام معدودات، لما ترك الحق وحيداً هكذا أثناء الأزمات والمقاطع الحساسة دون نصر، ولهذا السبب ورد في الروايات أن الدين لا ينسجم مع الجبن، قال الإمام الصادق عليه السلام: «لا يؤمن رجل فيه الشح والحسد والجبن»، وقال: «لا يكون المؤمن جباناً، ولا حريصاً، ولا شحيحاً»^(٢).

وفي رواية يرى الإمام عليه السلام أن الجبن الشديد ناجم عن ضعف النفس: «شدة الجبن من عجز النفس، وضعف اليقين»^(٣).

من هنا فإن المنافقين أشد خوفاً في الحرب؛ لأن إيمانهم ظاهري وليس واقعياً، يقول القرآن الكريم: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ﴾^(٤).

وللمرحوم السيد جمال الدين الأسد آبادي (الأفغاني) كلام رائع، وحقيق بالقراءة في ذم (الجبن)، إذ يقول:

الخوف هو الذي يزعزع دعائم استقلال البلاد.

(١) اللهوف على قتلى الطفوف، للسيد ابن طاووس ص: ١١٩.

(٢) بحار الأنوار ٧٥: ٣٠١.

(٣) الفهرست الموضوعي لغرر الحكم ص: ٤١.

(٤) محمد: ٢٠.

الخوف هو الذي يخلّ بالعلاقات بين الأمم.
الخوف هو الذي يوصد أبواب الخير والبركة بوجه طلابها.
الخوف هو الذي يبعد أنوار الهداية عن الأنظار.
الخوف هو الذي يرغم نفوس بني البشر على قبول الذل.
الخوف هو الذي يسوق الناس لتقبّل المسكنة.
الخوف هو الذي يهوّن تجرّع قيود العبودية على رقاب الناس.
الخوف هو الذي يروّض نفس الإنسان لقبول الامتهان تحت عنوان
الصبر والحلم، وقبول الذلة تحت عنوان الفطنة والتعقل.
الخوف هو الذي يدفع الرجال للانحناء لحمل أعباء أثقل ممّا يتصورون.
الخوف هو الذي يلقي بلباس العار على جسد الإنسان، هذا العار الذي
يؤثر ذوو النفوس الطاهرة والهمم العالية القتل على الإذعان لمثله.
نعم، فالجبان الخائف يتصور قسوة الذلة هينة، ويحسب حياة المسكنة
حياة رفاه وأمان.
إن الذي يحتقر نفسه هيّنٌ عليه القبول بالحقارة، كالميت الذي لا يشعر
بما تنزل به من جراحات، والأدهى من ذلك أن الجبان يتجرّع طعم الموت
آنأ بعد آن، لكنه يرتضي ذلك^(١).

اللجاج وحب الذات

الصورة الأخرى لحب الذات التي تحول في الكثير من الحالات دون
قبول الحق هي اللجاج، وهي تعني العناد وصعوبة المراس بما يعنيه من أن

(١) بيدار کران أقاليم قبله، لمحمد رضا حكيمي ص: ٥٦.

لا كلام سوى ما أقول، فالمدار بالنسبة للجاج هو (أنا) وليس الله، ولو أن اللجاج رأى الحق كالشمس في رابعة النهار لا يدعن له، يقول القرآن عن معارضي موسى (على نبينا وآله وعليه السلام): ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾^(١).

ويعدّ الإمام الصادق عليه السلام الكفر المنطلق من اللجاج واحداً من الأقسام الخمسة للكفر، مصرحاً بأن هذا الكفر عبارة عن: «أن يجحد الجاحد وهو يعلم أنه حق قد استقر عنده»^(٢).

وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام أن أقل ما يخرج به الإنسان من الدين هو: «الرأي يراه مخالفاً للحق فيقيم عليه»^(٣).

إن كيان اللجاج مشحون بحب الذات، من هنا ورد في الروايات أن رأي اللجاج لا قيمة له؛ لأنه يضع في الحسبان مصالحه الشخصية فقط! قال الإمام علي عليه السلام: «اللجاج لا رأي له»^(٤). وقال عليه السلام أيضاً: «اللجاج يفسد الرأي»^(٥).

(١) المصدر السابق: ١٤.

(٢) أصول الكافي: ج ٢، ص ٣٨٩، باب وجوه الكفر، الحديث ١.

(٣) بحار الأنوار ٢: ٣٠١.

(٤) شرح غرر الحكم ١: ٢٢٣.

(٥) شرح غرر الحكم ١: ٢٦٩.

وقال عليه السلام في حديث آخر: «ليس للجوج تدبير»^(١).

وعبادة الذات هذه هي السبب في الحروب والمنغصات والنزاعات، قال

الإمام علي عليه السلام: «اللجاج ينتج الحروب، ويوغر القلوب»^(٢).

الحسد وحب الذات

الصورة الأخرى لحب الذات التي تحول دون قبول الحق في بعض

الحالات هو (الحسد)، والحسد عبارة عن تمني زوال النعمة عن الأخ في

الدين، والعمل من أجل ذلك.

إن الحسد من الذنوب الكبيرة التي تدمر دين الإنسان، واستناداً للرواية الواردة

عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب»^(٣).

ومن أسباب معارضة بعض أبناء الأئمة عليهم السلام لآبائهم هي هذه الخصلة

القبیحة، فبالرغم من علم أولئك بمن هو إمام الحق، لكنهم وبسبب هذه

الرذيلة كانوا يقفون في الخندق المخالف للأئمة عليهم السلام.

سأل رجل الإمام الصادق عليه السلام: بنو الحسن لا يعرفون لمن الحق - ويقصد

بعض أحفاد الإمام الحسن عليه السلام الذين كانوا يناوؤن الإمام الصادق عليه السلام -

فقال عليه السلام: «بلى، ولكن يمنعهم الحسد»^(٤).

(١) الفهرس الموضوعي لفرر الحكم ص: ٣٥٢.

(٢) الفهرس الموضوعي لفرر الحكم ص: ٣٥٦.

(٣) أصول الكافي ج ٢، باب الحسد، الحديث ٢.

(٤) بحار الأنوار ٤٧: ٢٧٣.

وكان أخوة يوسف أبناء نبي، وقد ألفوا أباهم يعقوب يكنّ محبة أكثر ليوسف، فحملهم حسدهم لأن يقرّروا قتل يوسف، لكنهم في النهاية ألقوه في الجب.

وفي رواية عن الإمام السجاد عليه السلام نقلًا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وردت هذه العبارة بخصوص جعفر الكذاب: «والحاسد لأخيه»^(١).

ما تقدّم ذكره -الكبر، العجب، اللجاج، الحسد، الجبن - كان بعض صور حب الذات، وهو أول عوامل الصدّ عن الحق.

٢. عبادة المال

من المظاهر البارزة لعبادة الدنيا (عبادة المال)، فإذا ما بلغ حب المال ذروته إذ ذاك يتحوّل إلى (عبادة المال)، الأمر الذي يؤدي إلى الكثير من المنزقات والانحدارات، وقد وصفه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بأنه سبب الفتنة بقوله: «حب المال سبب الفتن»^(٢). وهو عليه السلام يرى أن أربع نشوات هي الأخطر بالنسبة للإنسان، وهي: نشوة الخمر، نشوة المال، نشوة النوم، نشوة الحكم.^(٣)

وقد ألحقت نشوة المال ضربات ماحقة بكيان الإسلام، فبعد عهد النبي صلى الله عليه وآله خدع هذا الأمر فئة كثيرة، وجرفهم نحو اكتناز المال والثروة، فالذين

(١) بحار الأنوار: ٥٠: ٢٢٨.

(٢) الفهرست الموضوعي لفرع الحكم ص: ٣٧٦.

(٣) سفينة البحار: ٢: ٥٥٧.

١٩٨..... السيد أحمد خاتمي

يفترض أن يكونوا عين الإسلام الساهرة، وحراساً للقيم الأخلاقية سرعان ما انثالوا على اكتناز المال والثروة، مضحين من أجل ذلك بكل تاريخهم الناصع على مذبح (عبادة المال).

حتى سنوات أعقبت رحيل النبي ﷺ - فترة حكم أبي بكر تقريباً - ونظراً لأن كافة الجهود تركّزت على قمع الفتن العقائدية، فلم يحصل تطور ملموس في الوضع الاقتصادي للناس، ولكن خلال عهد عمر الذي أعقب تلك الفترة حيث امتدت القوة العسكرية للإسلام خارج نطاق الجزيرة العربية، وأرغمت امبراطورية الروم وفارس على الاستسلام، وفتحت مصر تبلورت حركة اقتصادية استثنائية ومفاجئة في الوضع الاقتصادي للناس، وانطلق تيار من الجنوح نحو المادية وجمع المال والثروة.

وشيناً فشيناً برزت طبقة ثرية جداً في المجتمع الإسلامي كسبت الملايين في ظل حالات التمييز غير المبررة، وهي طبقة لم تكن من السواد، ولم يكونوا من الذين يسعنا إيجاد عذر فقدان البصيرة لهم، بل كانوا من الخواص، وممن شهدوا توصيات النبي ﷺ في الاحتراز عن حب الدنيا، فهبّوا لاكتناز الثروة، ليس عن طريق مشروع وإنما من خلال طموحاتهم بالحصول على امتيازات خاصة من بيت المال، وكما يعبر قائد الثورة الإسلامية:

(قالوا: لا يجوز أن يتساوى ذوو السابقة في الإسلام مع سائر الناس، فيجب أن تكون لهم امتيازات... فمنحت لهم امتيازات من بيت المال، فكانت اللبنة الأولى، وهكذا هو حال التيارات المنحرفة، فهي تبدأ من نقطة

صغيرة، ثم يستفحل شأنها ويتفاقم مع كل خطوة. فلقد بدأت الانحرافات من هنا حتى وصلت عهد عثمان، حيث آلت الأوضاع في أواسط عهد الخليفة الثالث إلى حيث صار كبار صحابة رسول الله ﷺ من أثري الأثرياء في زمانهم، أي أن كبار الصحابة المعروفة أسماؤهم مثل: طلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وأمثالهم من ذوي المفاخر في بدر وحنين وأحد وغيرها من المواطن، أصبحوا من أثرياء الطراز الأول بحيث أن أحدهم لما مات وأرادوا تقسيم أمواله بين ورثته، اضطروا إلى كسر الذهب بالفأس - ذلك الذهب الذي أذابه وحوّله إلى سبائك - كما تكسرون أنتم الحطب بالفأس! انظروا كم كان مقدار الذهب حتى يُكسر بالفؤوس؟ والحال أن الذهب يوزن بالمتاقيل.

هذا ما سجّله التاريخ، وليس بالكلام الذي نقول إن الشيعة هم من دونه في كتبهم، كلا فالجميع سجّلوا ذلك، فالمبالغ من الدراهم والدنانير التي خلّفوها كانت خيالية^(١).

كلام قائد الثورة الإسلامية (مدّ ظله) يستند إلى كلام الإمام علي عليه السلام، والحقائق التاريخية المسلّم بها والتي يعترف الإخوة أهل السنة بها أيضاً، يقول علي عليه السلام فيما يخص مرحلة استلام عثمان للحكم: «... قام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع...»^(٢)

(١) خطاب قائد الثورة الإسلامية أمام قادة الفرقة (٢٧) رسول الله ﷺ، بتاريخ ٢٢ محرم ١٤١٧هـ

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٣.

٢٠٠..... السيد أحمد خاتمي

فالكرم الحاتمي من بيت المال الذي تفرق هنا وهناك كان أسطورياً
جداً، فيروي العلامة الأميني رحمته الله بعض أرقام هذا الكرم الحاتمي بما يلي:

عطايا عثمان من بيت المال:

مروان ٥٠٠،٠٠٠ دينار و ١٠٠،٠٠٠ درهم.

ابن أبي سرح ١٠٠،٠٠٠ دينار.

طلحة ٢٠٠،٠٠٠ دينار و ٢،٢٠٠،٠٠٠ درهم.

عبد الرحمن بن عوف ٢،٥٦٠،٠٠٠ دينار.

يعلى بن أمية ٥٠٠،٠٠٠ دينار.

زيد بن ثابت ١٠٠،٠٠٠ دينار.

الحكم بن أبي العاص (طريد النبي ﷺ) ٣٠٠،٠٠٠ درهم.

أبناء الحكم ٢،٠٢٠،٠٠٠ درهم.

الحارث ٣٠٠،٠٠٠ درهم.

الوليد ١٠٠،٠٠٠ درهم.

عبد الله ٩٠٠،٠٠٠ درهم.

أبو سفيان ٢٠٠،٠٠٠ درهم.

الزبير ٥٩،٨٠٠،٠٠٠ درهم.

سعد بن أبي وقاص ٢٥٠،٠٠٠ درهم، وما إلى غير ذلك^(١).

هذا جانب من الكرم الحاتمي، وفيما يلي أرقام عن ممتلكات من

(١) الغدير، للعلامة الشيخ عبد الحسين الأميني ٨: ٢٨٦.

يُسَمَّونَ خواص أصحاب رسول الله ﷺ:

يقول البخاري في صحيحه:

لقد ترك الزبير أحد عشر داراً في المدينة، وإثنين في البصرة، وواحدة في الكوفة، وواحدة في مصر، وكانت له أربع زوجات إرث كلّ منهن بعد إخراج الثلث ١،٢٠٠،٠٠٠ دينار، ومجموع أمواله كان خمسين مليوناً ومئتي ألف دينار^(١).

يقول ابن سعد الواقدي:

لما مات عبد الرحمن بن عوف كان عنده ١٠٠ بعير، ٣٠٠ شاة، و ١٠٠ فرس، وترك من الذهب ما كُسِّرَ بالفأس حتى مجّلت يد الضاربين بالفأس. وكانت له أربع زوجات بلغ إرث الواحدة منهن ٨٠٠،٠٠٠ دينار^(٢).

هذه بعض الثروات الطائلة لمن يُصطلح عليهم خواص أصحاب النبي، الذين جرفهم جبههم للمال إلى هذا المآل، وكان ذلك خطر كبير على الإسلام؛ لذلك ومن أجل أن يقدم عليّ ﷺ الوجه الزاهر للعدالة الاجتماعية في الإسلام، فقد جعل أول برنامجٍ إصلاحي في ثورته هو مصادرة أموال خونة بيت المال، وقال: «والله، لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الاماء لرددته»^(٣).

لقد كانت أهم مشكلة واجهت علياً ﷺ خلال حقبة السنوات الأربع

(١) الغدير ٨: ٢٨٢، نقلاً عن صحيح البخاري ٥: ٢١.

(٢) نفس المصدر نقلاً عن طبقات ابن سعد: ج ٣، ص ٩٦.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٥.

٢٠٢..... السيد أحمد خاتمي

والنيف من حكومته هي روح حب المال لدى الخواص، فلقد كانوا يتوقعون أن يتم التعامل معهم كما في عهد الخليفة السابق، ويقون يرفلون في بحبوحة العيش والرفاهية غير المشروعة، بيد أن حكومة العدل العلوية وقفت بوجه هذه الرغبات الباطلة، فلم يستطيعوا تحمّل عدالة علي عليه السلام، وبالتالي فقد شهروا حرابهم والتجأوا إلى معاوية، فكان أغلب الهاربين إلى معاوية من ذوي الجرائم المالية والمستغلين لبيت المال، أو الذين لم يسدّوا ديونهم.

وبشكل صريح يرى الإمام عليه السلام أن أهم دوافع المعارضة لحكومته هو طلب الامتيازات الباطلة من بيت المال، ففي رسالة كتبها إلى سهل بن حنيف والي المدينة، قال عليه السلام:

«أما بعد، فقد بلغني أن رجالاً ممن قبلك يتسلّون إلى معاوية، فلا تأسف على ما يفوتك من عددهم، ويذهب عنك من مددهم... وإنما هم أهل الدنيا، مقبلون عليها ومهطعون إليها، وقد عرفوا العدل ورأوه، وسمعوه ووعّوه، وعلموا أن الناس عندنا في الحق أسوة، فهربوا إلى الإثرة»^(١).

وبالقدر الذي لم يكن الإمام علي عليه السلام متاجراً، ساعياً لشراء الذمم عبر التفريط ببيت المال، كان معاوية يصطاد الناس عبر هذا الطريق. ومن اللطيف أن معاوية أرسل ذات ليلة مبلغ (١٠٠٠) دينار إلى أبي ذر

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٧٠.

ليستطعمه، وفي نفس الليلة قام أبو ذر بتوزيع المبلغ بين الفقراء، واستمر بمعارضته لمعاوية. وفي اليوم التالي بعث معاوية بنفس الرجل الذي جاء بالمال وقال إنني أخطأت بالأمس حيث جئتك بالمال، فردّه عليّ وإلا فسأعرض لغضب معاوية! فأجابه أبو ذر: لقد وزعت المال على الفقراء، فأمهني ثلاثة أيام كي أجمعه^(١).

يقول جرجي زيدان:

(العنصر الأساس والمؤثر الذي كان معاوية وغيره من الأمويين يتبعونه لتمرير سياستهم هو بذل الأموال والعطايا، وبه انتصروا على علي وأولاده، لأن آل علي كانوا يرون الحقيقة أفضل ملاذ ونصير لهم، ويعدون بذل الأموال والعطايا فعلاً قبيحاً)^(٢).

وقد اقترح بعض أصحاب الإمام علي عليه السلام عليه أن يتعامل بما يشابه ذلك، وأشاروا عليه بأن يزيد عطاء زعماء العرب وقريش، وبذلك فإنهم سيجتمعون حوله، لأنه إن لم يزد عطاءهم على العبيد والموالي فلربما يلتحقون بمعاوية، فردّ عليه السلام عليهم بما مضمونه: أو هل أبذل بيت المال لاستحالة الرجال؟ أو أعطي الخراج؟ فصحيح أن هناك من يناصرنا لأجل المال ويصبح خصماً لنا لو أعطي مالا أكثر، إلا أن الواجب علينا الحفاظ على العدالة والمبادئ، ولا نفكر في استحالة الناس عن طريق التهيب

(١) الكامل لابن الأثير ٣: ١٠.

(٢) تاريخ الحضارة الإسلامية ١: ٦٤.

٢٠٤..... السيد أحمد خاتمي

فضلا عن الترغيب، فلا يمكنني تفضيل أحد على أحد، فمن أراد فليبقى وإلا فلينصرف.

وفي موضع آخر قال عليه السلام رداً على الاقتراح اعلاه: ^(١) «أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وُلِّيتُ عليه! والله لا أطور به ما سمر سمير، وما أمّ نجمٌ في السماء نجماً، لو كان المال لي لسويتُ بينهم، فكيف وإنما المال مال الله» ^(٢).

وللأسف أن هذا التيار العارم من حب الدنيا كان الوباء الذي تفشى خلال فترة السنوات الأربع ونيف من حكم الإمام علي عليه السلام، وبالرغم من حدة نصائح الإمام عليه السلام في التحذير من حب الدنيا إلا أنها لم تؤثر بما ينبغي وللأسف. ويمكن القول بكل صراحة إن أحداً لم يحقر الدنيا كما حقرها الإمام علي عليه السلام، وكانت هذه التحذيرات من أجل أن يفيق أسرى الدنيا، لكنهم لم يفعلوا.

في موضع قال عليه السلام: «والله، لدنياكم هذه أهون في عيني من عراق خنزير في يد مجذوم» ^(٣).

وقال في موضع آخر: «وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة» ^(٤).

(١) بحار الأنوار: ٦: ١٠٨ (الطبعة القديمة).

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٢٦.

(٣) نهج البلاغة: الحكمة ٢٣٦.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة ٢٢٤.

وقال عليه السلام في موضع آخر أيضاً: «.. ولألفيتم ديناكم هذه أزهد عندي من عفتة عنز»^(١).

ويعتبر هذا التحقير إتمام حجة على الخواص؛ لئلا يقعوا في هذا الفخ، لكنهم وقعوا فيه وكفى بذلك سقوطاً!

ومما يؤسف له أن هذا البلاء قد أحاق بالكثير من الخواص على امتداد التاريخ الإسلامي، أي أنهم كانوا يعلمون أين يقف خندق الحق، لكن حب المال جرفهم نحو الباطل. فلقد كان عمر بن سعد يعرف الإمام الحسين عليه السلام جيداً، كما كان يعرف أن الحق معه، لكن ملك الري وقمحتها جرّه للوقوف بوجه عزيز فاطمة الزهراء عليها السلام، إلا أنه لم ينل ذلك الملك والقمح أبداً.

ما أكثر الأراذل الذين كانوا يوشون بالأئمة عند خلفاء عصرهم، وكانوا سبياً في استشهاد هذه الأنوار الزواهر؛ سعياً للحصول على دنياً دنيّة، وثروة فانية.

قال محمد بن إسماعيل بن الإمام الصادق عليه السلام لهارون الرشيد: ما ظننت أن في الأرض خليفتين حتى رأيت عمي موسى ابن جعفر يسلم عليه بالخلافة، وبكلامه هذا أثار هارون ضد الإمام الكاظم عليه السلام، فأرسل إليه هارون بمائة ألف درهم لكنه أصيب بمرض لم يمهلّه، فلم ينتفع بدرهم منه^(٢).

كما أن علياً أخو محمد بن إسماعيل قد انحدر في هذا الضلال، وكان الإمام الكاظم عليه السلام يعرف بأنه محب للمال، فأرسل إليه مع أخيه محمد بن

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٣.

(٢) أصول الكافي ١: ٤٨٥. باب مولد أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام ح ٨.

٢٠٦..... السيد أحمد خاتمي

جعفر بثلاثمائة دينار وأربعمائة درهم، وأبلغه بأن يستعين بها على سفره، وأن يتَّق الله في دمه! لكنه أنكر الجميل فذهب عند هارون الرشيد وأثاره ضد عمّه، فأمر له هارون بمائتي ألف درهم. والعجيب أنه أصيب بمرض شديد أيضاً ولم ينتفع بدرهم واحد منها.^(١)

وتيار الواقفية مثال آخر على عبادة المال؛ حيث أنهم أسدلوا ستاراً على الحقيقة، هذا التيار الذي أنكر إمامة الإمام الرضا عليه السلام؛ ليستحوذ على الأموال التي حصلوا عليها، باعتبارهم وكلاء عن الإمام الكاظم عليه السلام. فقد قال أقطاب هذا التيار الضال سعيّاً لبلوغ أهدافهم الشيطانية: إن الإمام الكاظم عليه السلام هو الإمام الغائب، وهو لم يمت، ونحن ما نزال وكلاء له، وهكذا أبوا القبول بإمامة الإمام الثامن علي بن موسى الرضا عليه السلام.

وبإثارتهم لمختلف الشبهات أوجدوا تياراً عريضاً، وأوقعوا الكثير من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام في مصيدتهم، ولكن بعد فترة وجيزة افتضح مخططهم الشيطاني، فعاد الكثير منهم إلى الصراط المستقيم، فأمنوا بإمامة الإمام الرضا عليه السلام.

ونأمل أن يحذر الخواص في عصرنا هذا الخطر، ويعملوا على أن لا يقعوا هم في هذا الفخ، وأن يحولوا دون وقوع الآخرين فيه أيضاً، ويضعوا على الدوام هذا الكلام لأمير المؤمنين عليه السلام نصب أعينهم حيث يقول: «حب المال يوهن الدين، ويفسد اليقين»^(٢).

(١) بحار الانوار ٤٨: ٢٣٢.

(٢) الفهرس الموضوعي لغرر الحكم ص: ٣٧٦.

٣. حب الرئاسة

المظهر الآخر لعبادة الدنيا - والذي يعد من أهم عوامل الإعراض عن الحق - هو حب الجاه، أو حب الرئاسة، وأن الإمام علي عليه السلام يرى ذلك أحد دوافع معارضيته، فلقد كان اللاهثون وراء الرئاسة يحاولون الحصول على الامتيازات في حكومة الإمام علي عليه السلام، وتبوء بعض المسؤوليات الحساسة. ولكن بما أن حكومة علي عليه السلام كانت حكومة القيم وجد عليه السلام أن هؤلاء لم يكونوا لائقين ومن ثم لم يدعهم يحققوا أمنيتهم، وانطلاقاً من هذا فإنهم هبوا لمحاربة حكومة العدل العلوي.

يقول ابن أبي الحديد:

(إن الزبير وطلحة - وبعد أيام من بيعتهما لعلي عليه السلام - حضرا عنده، وقالوا: يا أمير المؤمنين! إنك لتعلم ما لحق بنا من حيف خلال حكم عثمان، وتعلم جيداً أن عثمان كان قد قرّب بني أمية، وقد منّ الله عليك بالخلافة، ونحن نريد أن توكل إلينا بعض أعمالك (ولاية البصرة والكوفة).

فأشار عليه السلام عليهما بأن يقنعا بما قسم الله لهما إلى أن يفكر بأمرهما، ثم قال: «واعلما أنني لا أشرك في أمانتي إلا من أرضى بدينه وأمانته من أصحابي، ومن قد عرفت دخيلته»^(١).

ويقول ابن أبي الحديد أيضاً:

(لقد بايع طلحة والزبير علياً عليه السلام طمعاً بولاية الكوفة والبصرة، لكنهما لما

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٣١.

٢٠٨..... السيد أحمد خاتمي

رأوا ثبات علي عليه السلام في دينه وعزيمته الراسخة التي لا تلين، ووجدوا أن علياً مصمماً على أن يؤسس مسار حكومته على أساس الكتاب وسنة النبي عليه السلام، تمردا عليه^(١).

وفي تحليل نفسي لحب الجاه هذا قال عليه السلام:

«كل واحد منهما يرجو الأمر له، ويعطفه عليه دون صاحبه... كل واحد منهما حامل ضب لصاحبه، وعمّا قليل يكشف قناعه به، والله لئن أصابوا الذي يريدون لينتزعن هذا نفس هذا»^(٢).

ويقول شارح نهج البلاغة أيضاً:

ذكر المؤرخون: قبل اندلاع المعركة تنازع طلحة والزبير على من يصلي بالناس، وقد تم حل الخلاف بينهما بوساطة من عائشة بأن لا يصلي هذا ولا ذاك، بل تقام الصلاة مناوبة بإمامة ابنيهما محمد وعبد الله. وذكروا أيضاً: إن طلحة طلب من عائشة بأن يسلم عليه الناس بالإمارة، وكذا طلب الزبير أيضاً، فأمرت عائشة بان يسلم على الاثنين بالإمارة، كما اختلفا حول قيادة الحرب أيضاً^(٣).

نعم، هذه هي قصة طلاب الرئاسة على الدوام، فمعبودهم الرئاسة وكفى! وهم يضحون بكل شيء في سبيلها. ولقد قال هارون الرشيد لابنه المأمون: (الملك عضو، لو نازعتني عليه لأخذت الذي فيه عينيك).

(١) شرح نهج البلاغة ١١: ١٠.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٤٨.

(٣) شرح نهج البلاغة ٩: ١١٠.

وهنا نصل إلى مراد الآية القرآنية الكريمة التي تقول:

﴿تَلِكِ الدَّارُ الْآخِرَةَ نَجْعُلْهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾^(١).

ومعنى هذا الكلام هو أن لا سبيل أمام الذين يسعون لبلوغ الحكم كي يحكموا هم، وليس لإعلاء كلمة الله، أو لدخول الجنة، وورد في رواية تعقياً على هذه الآية ما مفاده: من مصاديق هذه الآية أدنى صور حب التفاضل، كما لو أحب الإنسان أن يكون حبل حذائة أفضل من حبل حذاء صاحبه^(٢).

وهذا هو السر في ذم الروايات لحب الرئاسة، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «ملعون من ترأس، ملعون من همّ بها، ملعون من حدّث بها نفسه»^(٣). وقال الإمام علي عليه السلام: «حب الرئاسة شاغلٌ عن حب الله سبحانه»^(٤). يقول محمد بن مسلم: سمعت أبا عبد الله عليه السلام أنه قال: «وإن شراركم من أحبّ أن يوطأ عقبه، أنه لا بد من كذاب أو عاجز الرأي»^(٥). أي أن الذي يطلب الرئاسة يسعى لأن تحفظ له رئاسته، ولا تحفظ مثل هذه الرئاسة إلا بالكذب، أو المداهنة السياسية مع الناس، ولا مفرّ لمثل هذا

(١) القصص: ٨٣.

(٢) تفسير جوامع الجامع للطبرسي ص: ٣٥٠.

(٣) أصول الكافي ٢: ٢٢٥، باب طلب الرئاسة، ح ٤.

(٤) شرح نهج البلاغة ٢٠: ٢٠٧.

(٥) سفينة البحار ١: ٤٩٢.

٢١٠..... السيد أحمد خاتمي

الإنسان من أن يركل برجله كافة القيم الإلهية؛ للمحافظة على حكومته
لأيام معدودات.

وهذا الوباء القاتل هو السبب في معارضة بعض العاقين من أبناء الأمة
لآبائهم، فلقد كان أولئك يعرفون الحق لكن طلب الرئاسة أعمى بصيرتهم.

٤ . علاقات القربى والصدقة

العامل الآخر من عوامل الإعراض عن الحق، ويمكن تعريفه على أنه
إحدى صور حب الدنيا هو (علاقات القربى والصدقة) فالترية الإسلامية
تدعو لأن يكون حب الله محورا لجميع تصرفات الإنسان المؤمن، ويجب
أن تنتظم سائر فروع المحبة تحت ظلال هذه المحبة.

إن الـ(حزب اللهي) الحقيقي في منظار القرآن الكريم هو من أضحى
قلبه وروحه مهذاً لحب الله، وانقطعت علاقته العاطفية بمن ضلّ من أب أو
ولد أو أخ أو عائلة، قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ
أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ
وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١)

إن روح الإيمان هي (محورية الله) في كافة جوانب الحياة، وإن كافة

(١) المجادلة: ٢٢.

الحرمة تحظى بالاحترام تحت ظلال رحاب الله، فلبى الوالدين حرمة فائقة في القرآن، وقد جاء مقترناً بالتوحيد في أربع آيات من القرآن، وقد بلغت هذه الحرمة إلى مستوى عبّر عنه بعض الفقهاء بقوله: إن طاعة الوالدين أهم من أداء الصلاة في وقتها، وللولد أن يقطع صلاته المستحبة استجابة لأمر والديه، بيد أن هذه الحرمة تأتي تحت ظلال رحاب الله.

وبناءً على هذا فإذا ما وضع الوالدان ابنهما في مسار الشرك، فليس عليه أن يطيعهما: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾^(١). ولا تصح أبداً طاعة مخلوق حين تكون معصية الخالق سيدة الموقف، قال الإمام علي عليه السلام: «لا دين لمن دان بطاعة المخلوق في معصية الخالق»^(٢).

وقد ورد هذا المضمون في عدة آيات من القرآن الكريم من أن الذين يؤثرون علاقاتهم العاطفية على العلاقة مع الله إنما هم منحرفون عن الصراط المستقيم، فاسقون^(٣)، ظالمون^(٤). وكبرهان واستدلال على وجوب الإيمان بـ(محورية الله) وأن لا يكون للآخرين بعد محوري في حياتكم، يوضح تعالى هذه الحقيقة التي تؤكد عدم نفع الأقرباء والأولاد يوم القيامة: ﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا

(١) لقمان: ١٥.

(٢) بحار الأنوار ٧٣: ٣٩٣.

(٣) الممتحنة: ٧.

(٤) التوبة: ٢٣.

٢١٢..... السيد أحمد خاتمي

تَعْمَلُونَ بَصِيرًا^(١). إن يوم القيامة هو يوم انفصام العلاقات: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ
الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾^(٢).

والقرآن الكريم يصف محطّم الأصنام إبراهيم وصحبه أسوة وقدوة في
هذا المجال. حيث اختار محبة الله وتخلّى عن أرحامه ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ
أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ...﴾^(٣)، والنموذج الآخر يتحدث عنه
الإمام علي^{عليه السلام} في قوله: «ولقد كنّا مع رسول الله^{صلى الله عليه وآله} نقتل آباءنا وأبناءنا
وإخواننا وأعمامنا، وما يزيدنا ذلك إلاّ إيماناً وتسليماً»^(٤).

هذه هي روح التربية الإسلامية، ولكن بعد إحياء القيم الجاهلية إثر
رحيل رسول الله^{صلى الله عليه وآله}، عادت العصبية العرقية والقبلية من جديد، وغدت
القيم الإلهية ضحية القيم الجاهلية، فلقد كان القول الفصل في السقيفة
للأبعاد العرقية والقومية، كما كان للعرق دور مصيري في الشورى التي
عقدتها عمر لسته أشخاص^(٥)، وكان القول الفصل في عهد حكومة عثمان
لأرحامه من أبيه^(٦)، وهذا ما كان سبباً في انزلاق بعض عمال الإمام علي^{عليه السلام}
أيضاً.

(١) الممتحنة: ٣.

(٢) عبس: ٣٤ - ٣٦.

(٣) الممتحنة: ٤.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة ٥٦.

(٥) (ومال الآخر لصهره.. نهج البلاغة: الخطبة ٣.

(٦) (وقام معه بنو أبيه.. المصدر السابق.

فلقد كتب عليه السلام إلى منذر بن الجارود العبدي الذي خان بيت المال: «... وتصل عشيرتك بقطيعة دينك...»^(١)، وفي رسالة أخرى يؤنِّخ عاملاً آخر من عماله وهو مصقلة بن هبيرة الشيباني، قائلاً له: «... إنك تقسم فيء المسلمين الذي حازته رماحهم وخيولهم، وأريقت عليه دماؤهم فيمن اعتمك من أعراب قومك»^(٢).

وأختتم الكلام في هذا المجال بحديث للإمام علي عليه السلام، فلقد سئل علي عليه السلام: أي الخلق أشقى؟ قال: «من باع دينه بدنيا غيره»^(٣).

وخلاصة الكلام هي: أن أهم عوامل الإعراض عن الحق هي: (حب الدنيا) التي تمثل منزلق الكثير من الخواص، وصور حب الدنيا عبارة عن:
١- حب الذات وبعض مظاهره الكبر، العجب، اللجاجة، الحسد، الجبن.

٢- حب المال.

٣- حب الرئاسة.

٤- مهادنة القربى والأصدقاء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٧١.

(٢) نهج البلاغة: الكتاب ٤٣.

(٣) بحار الانوار ٧٢: ٢٧٠.

